جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

المَدِيحُ النَّبَوِيُّ

فِي شِعْر جَمَال الدِّين الصَّرْصَرِيِّ المتوفى سنة ٦٥٦هـ

دراسة تحليلية

إعداد

د/ محمد محمد مرسي الدغمان

أستاذ الأدب والنقد المساعد

ووكيل كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

(العدد السابع والثلاثون)

(الإصدار الأول .. فبراير)

(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بسم الله الرحمن الرحيم

المَدِيحُ النَّبَوِيُّ فِي شِعْرِ جَمَالِ الدِّينِ الصَّرْصَرِيِّ المُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٥٦هـ (دراسة تحليلية فنية)

محمد محمد مرسي موسى الدغمان

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: mohamedeldoghman.lan@azhar.edu.eg

الملخص:

غاية البحث المنشودة هي الوقوف على سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) العطرة، ومعاملته الحسنة، وأفعاله الطيبة، وتصرفاته السديدة، وإيمانياته العميقة، وفصاحته البليغة، وذلك من خلال من خلال شعر جمال الدين الصرصري، فقد تميز عن شعراء عصره بسمات خاصة في مديحه النبوي؛ كما ينشد البحث معرفة منهج الشاعر في مدحه النبي (صلى الله عليه وسلم) ومظاهر التجديد والحداثة في شعره من حيث الشكل والمضمون، والحديث عن مدى ثقافته العلمية، وثراء موهبته الشعرية، ومجالاته الأدبية، وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي الفني، وقد توصل البحث لعدة نتائج من أهمها: أن الشاعر وضع بين يدي القارئ أو المستمع شخص رسول الله، وكانه تحت المجهر اللغوي، فبدا في أروع صورة، وأعظم نموذج عرفته البشرية من لدن آدم إلى قيام الساعة، حيث تكاملت صفاته الخُلقية، وجملت سماته الخَلقية،؛ كما استعرض الشاعر جوانب سيرته العطرة مفصلة، ومعجزاته الخالدة واضحة مبينة؛ مما ينبئ عن ثقافته الدينية الرحبة، وخبراته الفنية في توظيفها في شعره؛ كما دلت أشعاره في المدائح النبوية على أن إعجابه، وحبه، وحنينه الدائم للأنس بالقرب من رسول الله نال الجزء الأكبر من موضوعات قصائده، أما عن الجانب الفني فقد هيمنت على الشاعر العاطفة الدينية، حيث تدفقت المعاني وترقرقت طوال القصائد، معتمدا على الموسيقا الخارجية الرنانة، والنغمة الداخلية العذبة؛ إظهارا للقيم الفكرية والنفسية التي يستشعرها، وتسري في وجدانه.

الكلمات المفتاحية: مديح، نبوي، تحليلية، فنية، جمال الدين الصرصريّ.

Prophetic praise in the poetry of Jamal al-Din al-Sarsi, who died in the year 656 AH (Technical analytical study).

Mohamed Mohamed Morsi Musa Al-Dagman
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language in Menoufia, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mohamedeldoghman.lan@azhar.edu.eg

Abstract:
The desired goal of the research is to learn about the fragrant biography of the Prophet (may God bless him and grant him peace), his good treatment, his good deeds, his good behavior, his deep beliefs, and his eloquent eloquence, through the poetry of Jamal al-Din al-Sarsari, as he was distinguished from the poets of his time by special features. In his prophetic praise; The research also seeks to know the poet's method in praising the Prophet (may God's prayers and peace be upon him) and the manifestations of innovation and modernity in his poetry in terms of form and content, and to talk about the extent of his scientific culture, the richness of his poetic talent, and his literary fields, The technical analytical approach was followed in this study, The research reached several results, the most important of which are :That the poet placed in the hands of the reader or listener the person of the Messenger of God, as if he were under a linguistic microscope, so he appeared in the most wonderful image, and the greatest model known to humanity from the time of Adam until the Day of Judgment, where his moral qualities were perfected, and his moral attributes were perfected,; The poet also reviewed the aspects of his fragrant biography in detail, and his immortal miracles are clear and evident. Which indicates his vast religious culture, and his artistic experiences in employing them in his poetry. His poems in praise of the Prophet also indicated that his admiration, love, and constant longing for people close to the Messenger of God constituted the largest portion of the topics of his poems, As for the artistic aspect, the poet was dominated by religious emotion, as meanings flowed and trickled throughout the poems, relying on the resonant external music and the sweet internal tone. As a manifestation of the intellectual and psychological values that he senses and flow into his conscience.

Keywords: Praise, Prophetic, Analytical, Artistic, Gmaloldein Al-Sarsari.

مقدمــة

الحمد لله رب العالمين، خلق فسوى، وقدر فهدى، خلق الخلق فمنهم شقي وسعيد، وقدم للعاصين بالوعيد، وبشر الطائعين بالجنة وبالمزيد، حكم عدل ليس بظلام للعبيد، والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد (ﷺ) القائل في حديثه الشريف: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أكُونَ أَحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ"؛ فصلاة وسلاما عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان، وسار على دربه إلى يوم التلاق.

أما بعد

فإن مَحبَّة النبيِّ (ﷺ)، مِن أُصولِ الإيمانِ، وهي مَقرونةٌ بمَحبَّةِ اللهِ (ﷻ)؛ فالحديث عن محبته متعة عظيمة! فالألسنة تترطب بذكره والصلاة عليه، والآذان تتشنف بسماع سيرته وهديه وحديثه، والعقول تخضع لما ثبت من الحكم والسنن الرفيعة السامية التي جاء بها ﷺ، وأما الجوارح والأعضاء فتنتفع وتتمتع بموافقة هديه وفعله وحاله (ﷺ).

المحبة كما قال ابن القيم: " لا تُحَدُّ – أي: لا يذكر لها تعريف – إذ هي أمر ينبعث بنفس يصعب التعبير عنه"[(١)]، إنَّ محبة النبي (ﷺ)، من أعظم ما يتقرب به المسلم لربه (ﷻ)، هذه المحبة التي تنغرس في القلوب والأفئدة، وتفيض بظلالها وآثارها على الجوارح، فهول القائل: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى أكُونَ أَحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ".[(٢)]

---

(١) الشفا بتعريف أحوال المصطفى – العلامة القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي – ت: عبده علي كوشك – وحدة البحوث والدراسات – دبي – الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م – ٢/٢٩.

(٢) رواه أنس بن مالك – مختصر صحيح البخاري – المحدث محمد ناصر الدين الألباني – ٧/ باب حب رسول الله من الإيمان – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م – رقم الحديث – ١ / ٢٢.

ويتسم المديح النبوي بالصدق الفني القائم على تجربة شعرية صادقة؛ لأنها تنطلق من انفعال نفسي عميق بمفردات التجربة الشعورية التي يحسها الشاعر تجاه الممدوح الأعظم والأكمل بين المخلوقات جميعًا، وهو الرسول الكريم (ﷺ)، سيد ولد آدم، وإمام الأنبياء والمرسلين، وتنأى عن التكلف والافتعال؛ لأنها تبتعد عن التكسب بالشعر، ولا يرجى من ورائها مغانم ومكاسب دنيوية زائلة، فغايتها سامية رفيعة، وهي نيل رضا الله تعالى، والفوز بشفاعة الرسول يوم القيامة.

وقد شرّق الشعراء وغربوا في مشارق الأرض ومغاربها بحب رسول الله(ﷺ)، وأفنوا أعمارهم في ري مشاعرهم بهوى رسول الله، فلهجت ألسنتهم، وأبدعت قرائحهم، فأنبتت بساتين ناضرة وحدائق يانعة وأعين إليها ناظرة، وألسنة لها قارئة من عيون الشعر العربي الخالد.

وقد وقع الاختيار على أحد فحول هذا الاتجاه، وهو جمال الدين الصرصري، الأفضل فِي الْمَديح النَّبَوِيّ، وَالأَكْثَر علمًا فِي الأَدَبِ وَالشَّعْر وَبَعْض الْعُلُوم الأُخْرَى، اُشْتُهِر بِطُول قَصائِدَه، وروعة مَعَانِي أَبْيَاتِهَا.

- **الدراسات السابقة:**

هناك دراسات سابقة تناولت شاعرنا الصرصري بالدراسة ولكنها قليلة نادرة، وفيما يأتي ذكر بعض تلك الدراسات التي وُفقت للوصول إليها، على سبيل التمثيل لا الحصر:

١- المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري – مخيمر صالح – دار مكة الهلال/بيروت، والدار العربية/عمان – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦م.

٢- المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري، صالح مخيمر، سنة ١٩٩٦م.

٣- الصورة الفنية في شعر المديح النبوي، شعر الصرصري أنموذجا للباحث حيدر خليفة أحمد، ماجستير بكلية اللغة العربية بأم درمان، بالسودان، سنة ٢٠٠٠م.

٤- ديوان الإمام الصرصري، شعر الإمام يحيى بن يوسف الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦ هـ، تحقيق وشرح: أ.د/ مصطفى مصطفى عطا، دار الكلمة للنشر، الطبعة الثانية، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م.

٥- ديوان الصرصري لأبي زكريا جمال الدين يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصري (٥٨٨-٦٥٦ هـ) - تحقيق ودراسة (بحث ماجستير): حنان سيد أحمد بابكر - جامعة أم درمان الإسلامية - كلية الدراسات العليل - السودان - نشر في مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية الاجتماعية - المجلد ٦٠ - العدد ٣ - أيلول لسنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٢١م.

٦- التشوق إلى الديار الحجازية في شعر الصرصري، هناء سيبناتي، مجلة جامعة دمشق سنة ٢٠٢١م.

٧- دور الصرصري " ت ٦٥٦ هـ " بين الإنجازات الفكرية والتحديات المغولية - أ.م.د. هناء كاظم خليفة - الجامعة المستنصرية - كلية الآداب.

٨- توظيف التراث في شعر الصرصري والبوصيري، الباحث السيد سالم، ماجستير، كلية اللغة العربية بالزقازيق.

- **منهج البحث**

وقد انتهج البحث المنهج الفني التحليلي في هذه الدراسة، سائلا الله رب العالمين أن يكون عونا على إتمامها على الوجه الأتمّ، والصورة المثلى.

- **خطة البحث:**

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد، ومبحثين.

التمهيد: التعريف بالشاعر، واسمه، وكنيته، ومولده، ووفاته، وثقافته، ومذهبه الديني، وبيان مفهوم المديح.

المبحث الأول: عني بدراسة الموضوعات المدحية للنبي (ﷺ)، واشتمل على مطالب ثلاث:

المطلب الأول: طلب الشفاعة والحنين لزيارته والأنس بالقرب منه.

المطلب الثاني: الثناء على الرسول وتعداد معجزاته.

المطلب الثالث: ذكر بعض الشعراء الذين غزر نتاجهم الشعري في مدحه (٦).

المبحث الثاني: انصبّ على الدراسة الفنية لهذه الموضوعات، وتناولت فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعجم الشعري.

المطلب الثاني: العاطفة.

المطلب الثالث: الصورة الفنية.

المطلب الرابع: الموسيقا الشعرية.

ثم انتهى البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وأعقبته بثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

التمهيد: التعريف بالشاعر والمديح

- **أولا: التعريف الشاعر:**

١ – اسمه:

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام جمال الدين الشيخ العلامة الزاهد الضرير أبو زكريا الصرصري البغدادي الحنبلي اللغوي الأديب الناظم صاحب المدائح النبوية السائرة في الآفاق(١).

٢ – مولده ونشأته:

ولد الصرصري سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة من الهجرة، ونُسِب إلى بلدته (صرصر الدير) على بعد فرسخين من بغداد(٢)؛ ولد الصرصري عام ٥٨٨ هـ(٣)، ويُقال إنه نشأ في بغداد وسكن فيها، وكان محبًا لطلب العلم منذ صغره، فنهل من مختلف العلوم وبرع فيها، إلى جانب براعته في نظم الشعر، وقد ترك جمال الدين الصرصري إرثا أدبيا جمًّا رائعا من القصائد والمؤلفات(٤).

(١) فوات الوفيات والذيل عليها – محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ – ت: د/ إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ٤ / ٢٩٨.

(٢) الأنساب – الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ – ت: محمد عوامة – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ٨ / ٥٦.

(٣) الأعلام للزركلي – ٨ / ١٧٧

(٤) ينظر: مختصر طبقات الحنابلة – العلامة الشيخ محمد جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن شطي – ت: فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م – ٥٨.

٣– ثقافته:

ثقافة الصرصري ثقافة دينية فقهية متعمقة، ويظهر هذا من العلوم التي تلقاها من الأساتذة الذين تلقى عنهم هذه العلوم فقد قرأ القرآن بالروايات على أصحاب ابن عساكر البطحائي المتوفي سنة ٥٧٢ هـ، وهو مشهور بالقراءات، وله كتب فيها، وسمع الحديث من الشيخ علي بن إدريس اليعقوبي المتوفي سنة ٦١٩م، وهو فقيه حنبلي مشهور، أخذ قسطا كافيا من الثقافة اللغوية، وقيل: إنه كان يحفظ صحاح الجوهري بكامله(١).

٤– ألقابه:

تميز الصرصري بألقابه الكثيرة التي تدور في أغلبها حول ما اشتهر به من العلوم والمعارف، وما امتاز به من الكنوز والمواهب، وعلى سبيل المثال من ألقابه التي عرف بها:(٢)

١– سيد الشعراء.

٢– الشيخ العلامة صاحب المدائح النبوية السائرة في الآفاق.

٣– الشيخ العلامة القدوة.

٤– الإمام الصرصري.

٥– الشيخ الإمام الأديب الرباني.

٦– الشاعر المادح.

٧– الصرصري المادح الفاضل.

٨– الماهر الحافظ.

---

(١) ينظر: معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية – عمر رضا كحالة – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م – ٤ / ١٢٠.

(٢) ينظر: دور الصرصري " ت ٦٥٦ هـ " بين الإنجازات الفكرية والتحديات المغولية – أ.م.د/ هناء كاظم خليفة – الجامعة المستنصرية – كلية الآداب – ٦٢٨، ٦٢٩.

٩- حسان عصره ذو المحبة الصادقة لرسول الله (ﷺ)، ويشبه في عصره بحسان بن ثابت وفي ديوانه مديح رسول الله وعلى الرغم من كونه ضرير البصر إلا أنه كان بصير البصيرة.

٥- علمه:

كان الصرصري عالما صالحا قدوة كثير التلاوة عظيم الاجتهاد صبورا قنوعا محبا لطريقة الفقراء ومخالطتهم، وكان يحضر معهم السماع، ويرخص في ذلك، وكان شديدا في السنة منحرفا على المخالفين لها[١]، وكان ذكيا يتوقد نورا، سريع البديهة ينظم بسرعة محاسن فصيحة بليغة[٢]، ويقال بأنه كان يحفظ صحاح الجوهري بكماله، ونظم في الفقه، والعربية، وفي فنون شتى، وإن مدائحه في النبي (ﷺ)، تبلغ عشرين مجلدا.[٣]

٦- شيوخه:

تتلمذ جمال الدين الصرصري على يد علماء أفذاذ أتقياء ورعين؛ كان لهم أكبر الأثر في حياته وعلمه؛ منهم[٤] :

١- إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين بن حامد بن ابراهيم النهرواني الرزاز الفقيه الفرضي الزاهد الورع الحكيم المتوفى سنه ٥٦٥ هـ.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب – ابن العماد الإمام شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ – ت: محمود الأرناؤوط – دار ابن كثير – دمشق/بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م – ٧ / ٤٩٤.

(٢) البداية والنهاية – الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ – مكتبة المعارف – بيروت – الطبعة السادسة سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م – ١٣ / ٢١١.

(٣) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي – ٧ / ٤٩٤.

(٤) ينظر: دور الصرصري " ت ٦٥٦ هـ " – أ.م.د/ هناء كاظم خليفة – ٦٣٠

٢- ضياء الدين أبو العزيز الحربي البغدادي المتوفي سنة ٥٨٣ هـ، محدث، وإخباري ولغوي حفظ الفقه واللغة.

٣- مفتي العراق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الصقال الطيبي ثم البغدادي الأزجي الفقيه الإمام أبو إسحاق مفتي العراق، ويلقب بموفق الدين المتوفى سنة ٥٩٩ هـ.

٤- علي بن أبي بكر محمد بن عبد الله بن إدريس الروحاني البعقوبي الزاهد توفي سنة ٦١٩ هـ.

٥- موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ.

٦- أبو صالح نصر بن عبد الرازق بن عبد القادر أبو صالح الجيلي الأصل الشافعي البغدادي المتوفي سنة ٦٣٣ هـ.

٧- مذهبه:

أما مذهب الصرصري فقد كان حنبلي المذهب، وقد عبر عن مذهبه في أكثر من موضع، وأطال في الإشادة به، والدعاية له، والتنويه بمزاياه، ومدح الإمام أحمد بن حنبل كثيرا(١)؛ كل ذلك من خلال أدبياته الشعرية.

٨- شعره:

حظيت المدائح النبوية بالنصيب الأوفر من ديوان الصرصري؛ باستثناء بعض القصائد التعليمية، وبعض القصائد في مدح بني العباس، وذكر اليونيني البعلبكي أن الصرصري مدح الرسول الكريم بعشرين مجلدا(٢)، ولم يكن مفهوم المجلد في الماضي مثل مفهومه في أيامنا فإن المجلد في عرف القدماء وفي

(١) ديوان الصرصري – ت: د/ مخيمر صالح – منشورات جامعة اليرموك – عمادة البحث العلمي والدراسات العليا – المقدمة – صفحة جـ.

(٢) ديوان الصرصري، صفحة جـ.

عرف القدماء؛ كما يقول الأستاذ/ عبد السلام هارون، عشر ورقات[١]، وعلى هذا فإن نسخ الديوان الوافية إلينا تصل إلى مائتي ورقة تقريبا.

٩- أقوال العلماء فيه:

نال الصرصري ثناء العلماء، وإطرائهم، وتقريظهم، وإعجابهم به، قال عنه ابن قيم الجوزية: " حسان السنة في وقته المتفق على قبوله، الذي سار شعره مسيرة الشمس في الآفاق، واتفق على قبوله الخاص والعام أي اتفاق، ولم يزل ينشد في الجوامع العظام، ولا ينكره أحد من أهل الإسلام يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصري الأنصاري الإمام في اللغة، والفقه، والسنة، والزهد، والتصوف[٢] ".

وقال صاحب فوات الوفيات: " لا أعلم شاعرا أكثر من مدائح النبي (ʿ) أشعر منه وشعره طبقة عالية، وكان فصيحا بليغا، شعره يدخل في ثماني مجلدات، وكله جيد "[٣].

وقال عنه قطب الدين اليونيني: " كان من العلماء الفضلاء الزهاد العباد، وله اليد الطولى في نظم الشعر، وشعره في غاية الجودة -رحمة الله عليه-، امتدح رسول الله بأشعار كثيرة، قيل إن مدائحه فيه تقارب عشرين مجلداً..." ثم أورد بعض هذه الأشعار[٤].

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها – عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة السابعة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م – ٢٥.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية في الرد على المعطلة والجهمية – الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية – ت: زائد بن أحمد النشيري – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – الطبعة الأولى سنة ١٤٣١ هـ – ٤٨٠.

(٣) فوات الوفيات والذيل عليها – محمد بن شاكر الكتبي – ٤ / ٢٩٨.

(٤)الموسوعة الحرة ويكيبيديا – جمال الدين الصرصري – رابطه:
https://ar.wikipedia.org/wiki

١٠- مؤلفات الصرصري وأثرها في الحركة الفكرية:

انماز الصرصري بإمكانيات إبداعية فذة ظهرت في نتاجه الفكري، ويذكر أنه كان يحفظ صحاح الجوهري بتمامه في اللغة، وله من التآليف الكثير منها[١]:

١- ديوان شعر.

٢- الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة.

٣- الروضة الناضرة في أخلاق المصطفى الباهرة.

٤- الشارحة في تجويد الفاتحة.

٥- القصائد في المدائح النبوية.

٦- المنتقى من مدائح الرسول (ﷺ)؛ ولعله المسمى المختار من مدائح المختار.

٧- نظم الكافي للشيخ موفق الدين بن قدامة.

٨- نظم زوايد الكافي على الخرقي.

٩- له منظومات في الفقه وغيره فقد نظم مختصر الخرقي في الفقه.

١٠- منظومة في أوائل الشهور الرومية.

١١- قصيدة دالية في الفقه الحنبلي ٢٧٧٤ بيتا.

١٢- الوصية الصرصرية.

١١-وفاته (¬ تعالى):

توفي الصرصري شهيدا برباط الشيخ علي الخباز في المحرم في واقعة بغداد على يد التتار بعد اقتحامهم إياها، وبعد قتله لأحدهم بعكازه، وكان استشهاده عام ست وخمسين وستمائة من الهجرة، وحمل إلى بلدته صرصر،

(١) ينظر: الأعلام – خير الدين الزركلي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٩٦ هـ – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة عشرة سنة ٢٠٠٢م – ٨ / ١٧٧، وينظر: معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – ٤ / ١٢٠.

ودفن بها (¬ تعالى)[١].

قال ابن رجب: " وكان الصرصري قد رأى النبي في منامه، وبشّره بالموت على السنة، ونظم في ذلك قصيدة طويلة معروفة[٢].

(١) مختصر طبقات الحنابلة – العلامة الشيخ محمد جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن شطي – فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م – ٥٨، وينظر: الأعلام للزركلي – ٨ / ١٧٧، وينظر: معجم المؤلفين لعمر كحالة – ٤ / ١٢٠.

(٢) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي – ٧ / ٤٩٤، وينظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد – الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح المتوفى سنة ٨٨٤ هـ – ت: د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م – ٣ / ١١٤، ١١٥.

ثانيا: مفهوم المديح

- لغة:

جاء في لسان العرب " المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء؛ يقال: مدحته مِدحة واحدة، ومدحه يمدحه مدحا ومدحة؛ هذا قول بعضهم، والصحيح أن المدح المصدر، والمِدحة الاسم، والجمع مدح، وهو المديح، والجمع المدائح والأماديح(١)"، "ومدحه أحسن الثناء عليه(٢)"

إلا أنه ينبغي أن نفرق بين المدح والرثاء؛ فكلاهما ذكر محاسن شخص ما؛ فما يقال في أثناء حياة الفرد يسمى مدحا، وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء، ولكنه في رسول الله (ﷺ) يسمى مدحا، ويمكن القول بأن الثناء على الميت لا يسمى رثاء إلا إذا قيل في أعقاب الموت، وبعد ذلك يقصد به إعلان الحزن والتفجع؛ على حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين، والثناء على الرسول(٣)، ولكن يمكن القول بأن المديح يطلق على الأحياء، ويقال أيضا في حق المصطفى رغم انتقاله إلى الرفيق الأعلى على أساس أنه في حكم الأحياء بنص حديثه الذي يقول فيه: " إنَّ من أفضلِ أيَّامِكُم يومَ الجمعةِ

(١) لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم بن علي بن منظور المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٣٠٠ هـ – ٢ / ٥٩٠.

(٢) القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ – ت / مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثامنة سنة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م – ١٥١٦.

(٣) رواه أوس بن أوس – سنن أبي داود – ت: محمد عبد العزيز الخالدي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م – رقم الحديث ١٠٤٧ – ١ / ٣١٩، ٣٢٠.

فيهِ خُلِقَ آدمُ وفيهِ قُبِضَ وفيهِ النَّفخةُ وفيهِ الصَّعقةُ فأكْثِروا عليَّ منَ الصَّلاةِ فيهِ فإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عليَّ قالَ قالوا يا رسولَ اللَّهِ وَكَيفَ تُعرَضُ صلاتُنا عليكَ وقد أرِمتَ – يقولونَ بليتَ – فقالَ إنَّ اللَّهَ ، حرَّمَ علَى الأرضِ أجسادَ الأنبياءِ[١]".

ونستنبط من هذا الحديث النبوي الشريف حياة رسول الله في قبره، ولكن كيفيتها بعلم الله، وبناء على ذلك يكون ما يقال فيه (ﷺ)، من ثناء وإطراء مدحا لأنه حيٌّ؛ فالمديح النبوي إذن هو الفن الذي يتناول النبي بالثناء، والإعجاب، وذكر فضائله، وخصاله الحميدة، وتعداد معجزاته الفريدة.

- اصطلاحا:

يعد المدح في الاصطلاح فنًّا من فنون الشعر، موضوعه ذكر محاسن الممدوح سواء أكان بمقابل أم دون مقابل؛ يقول أحمد الهاشمي : "والثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفيسة؛ كرجاحة العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة[٢] "، وعرّف شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي المديح النبوي بقوله: " هو لون شعري صادر عن العواطف النابعة من قلوب مفعمة بحب صادق، وإخلاص متين للنبي الكريم (ﷺ)"[٣]، وعرَّفه إميل ناصيف بقوله: "هو فن من فنون الشعر الغنائي يقوم على عاطفة الإعجاب، ويعبر عن شعور تجاه فرد من الأفراد، أو جماعة، أو هيئة ملك على الشاعر إحساسه، وأثار في نفسه روح

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – المرحوم السيد أحمد الهاشمي المتوفى سنة ١٩٤٣م – مؤسسة المعارف – بيروت – لبنان – ٢ / ٢٦.

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – المرحوم السيد أحمد الهاشمي المتوفى سنة ١٩٤٣م – مؤسسة المعارف – بيروت – لبنان – ٢ / ٢٦.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف – شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المتوفى سنة ٨٥٠ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م – ٣٤٢.

الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديح "[١].

لقد تفنن شعراء العربية، وبدّعوا في فن المدح، حيث تعددت شخصيات الممدوح وتنوعت؛ فنجد مدحا موجها لشخص من عامة الناس، وثانيا لحبيب، وثالثا للشيوخ والعلماء، ورابعا للسلاطين والوزراء، وخامسا للمصلحين ودعاة الخير، وأخيرا مسك الختام مدح النبي محمد (ﷺ)، وهو ما يهمنا في هذا المقام، وتتمثل المدائح النبوية في تلك القصائد التي نظمها الشعراء في مدح النبي حيث ذكروا فيها صفاته الخُلقية كالحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم من ناحية، ومن ناحية أخرى الصفات الخَلقية كرَبْعَة القوام، وأزهرية اللون، وجمال الطلعة، وبهاء المحيا ؛بالإضافة إلى شوقهم لرؤيته، وزيارة قبره، وغيره من الأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته؛ كما تطرقوا لمعجزاته، ومراحل سيرته النبوية متتبعين لغزواته، ومعترفين – ندما وتوبة – بتقصيرهم في أداء واجباتهم الدينية، وطامعين في شفاعته (ﷺ) عند الله يوم القيامة.

وهذا ما أكده جميل حمداوي بقوله: "هو ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي (ﷺ) بتعدد صفاته الخُلقية والخَلقية وإظهار الشوق لرؤيته، وزيارة قبره، والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول الكريم؛ مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته شعرا، والإشادة بغزواته، وصفاته المثلى"[٢].

ولعل ما جعل الشعراء يمتدحون الرسول (ﷺ) هو نفسه الذي جعلني أقبل بشغف على اختيار هذا البحث (المدائح النبوية)؛ يقول شوقي ضيف: "طبيعي

(١) أروع ما قيل في المديح – إميل ناصيف – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م – ٩.

(٢) عصر الدول والإمارات الأندلس – شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة سنة ٢٠٠٥م – ٨ / ٣٧٠.

أن يتغنى شعراء الأندلس بالمدائح النبوية، ومثلهم في ذلك مثل الشعراء في جميع البلدان الإسلامية إذ هو المثل الكامل لكل مسلم"[١]، وقد آثرت بالدراسة الشاعر جمال الدين الصرصري على غيره لبراعته في مدح الرسول (ʿ)، ولغزارة شعره؛ فقد كان فاقد البصر، ولكنه قوي البصيرة (¬تعالى).

□

(١) شعر المديح النبوي في الأدب العربي – جميل حمداوي – منشورات المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧م – ص٢.

المَبْحَثُ الأَولُ:
المَوْضُوعَاتُ المَدْحِيَّةُ للنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ﷺ)

المطلب الأول:

طلب الشفاعة والحنين لزيارته والأنس بالقرب منه

١- طلب الشفاعة:

دار مؤخرا خلاف طويل حول حدوث شفاعته (ﷺ) وعدمه، وتضاربت حوله الآراء إثباتا ونفيا، ولسنا في معرض التأصيل لوقوعه وحدوثه وإثباته، ولكن أهل السنة والجماعة قد أثبتوا وقوعها لأهل الكبائر من أمته؛ بدليل ما جاء به القرآن الكريم، وما نطقت به السنة المشرفة؛ فقد أخبر القرآن الكريم بأن ثمة شفاعة عنده تعالى؛ حيث يقول ربنا { مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ} [سورة البقرة:٢٥٥]، فالشفاعة كائنة، ولكن لا تنفع الشفاعة إلا بإذنه تعالى؛ إذن لمَن تكون الشفاعة إن لم تكن لأعظم الخلق محمد (ﷺ) ؟ وقد وعده ربُّه الكريم المقام المحمود يوم القيامة؛ يقول الله تعالى { عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا } [سورة الإسراء:٧٩]، والمقام المحمود هو الشفاعة يقول حبر ابن عباس في تفسيره الآية الكريمة: "أن يقيمك ربك مقاما محمودا مقام الشفاعة محمودا يحمك الأولون والآخرون"(١)، وأمرنا رسول الله (ﷺ) أن نسأل الله له الوسيلة في حديثه: "إذا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إلَّا لِعَبْدٍ مِن عِبادِ اللهِ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ أنا هُوَ، فمَن

(١) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المعروف بحبر الأمة وترجمان القرآن المتوفى سنة ٦٨ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م – ٣٠٤.

سَأَلَ لي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعَةُ"[١] ؛ إذن الشفاعة النبوية ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة، ومن قصائد جمال الدين الصرصري التي يطلب فيها الشفاعة من الحبيب (ﷺ) قوله:[٢] [المتدارك]

يـــا مـــن ينجّـــي بشـــفاعته مَـــن أوبـــق منـــا مأثمـــه
سـل لـي ذا العـرش العـون علـى زمـــن قـــد أصـــمتْ أســـهمه
والرحمـــــة فـــي مـــوتي وإذا بليـــت مـــن جســـمي أعظمـــه
وإذا أقمنـــــا فـــــي عـــــرق يغتـــــال الطـــــاغي يلجمـــــه

فهو صاحب الشفاعة لمن أهلكته ذنوبه ويستشفع به عند الله ليمد له يد العون في تلك الحياة المشقية بنوائبها المؤلمة بصروفها، والتي بلغ فيها الشاعر حدّ اليأس، وتمنى لو اخترمه الموت، ورحل عنها غير مأسوف عليها، ويقول في موطن آخر مخاطبا رسول الله (ﷺ):[٣] [البسيط]

يأيهـا الشـافع المرجـوُّ فـي عـرق طـامٍ يصـول علـى الطـاغي فيلجمـه
يـا مـن شـفاعته تنجـي العصـاة إذا غشَّـــاهم لهـــب بَـــادٍ تضـــرُّمه
فاسـأل لنـا خلـع الإقبـال مـن ملـك لـديك جاهـك يـأبى الـنقض مبرمـه
وصـحبة الوفـد فـي أمـن وعافيـة حتـــى نفـــوز بحـــجٍّ آن موســـمه

فالشاعر يتوسل برسول الله ويستشفع به عند الله تعالى يوم القيامة حيث

(١) صحيح مسلم المسمى المختصر الصحيح من السنن – الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ – تشرف بخدمتها / أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي – دار طيبة – الرياض – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م – ١ / ٣٨٤.

(٢) ديوان الصرصري – ٤٧٤، ٤٧٥.

(٣) ديوان الصرصري – ٤٧٦، ٤٧٤.

يلجم العرق الطغاة الظالمين، وبينما النار تتلوى تغيظا وزفيرا على الكافرين وذوي الكبائر والمعاصي تأتي النجدة من رسول الله بشفاعته لعصاة أمته فيعفو الله عنهم، وينظر إليهم بعين رحمته الواسعة، فلا يشقون بعد ذلك أبدا، ويلتمس الشاعر من رسول الله أن يسأل الله القبول له، ويكتب له حجا مبرورا عامه هذا؛ حيث قد دنا موسمه، ودنفت أيامه.

وهكذا نجد التماس الشفاعة من رسول الله ديدن الشاعر في ثنايا الكثير من قصائده فلا يبرح الشاعر ملحا على رسول الله ملتمسا شفاعته حيث يقول في إحدى قصائده: [1] [البسيط]

يا سيدي يا رسول الله يا وزري ... قد طاف بي طائف من حادث النوب
أتيت ملتمسا منْك الشفاعة في ... إصلاح قلبي لعل الله يلطف بي
وقد أحاطت بي السبعون ترشقني ... بأسْهُمٍ مهما ترمني تصب
فاستوهب الله لي نورا أعيش به ... وأهتدي بسناه في دجى الريب
فإنني وإن أغب عن جمال الرحب ... فإن قلبي عن ذكراك لم يغيب

ها هو الصرصري ذا ينادي رسول الله معظما ومبجلا وملتمسا أن يشفع له عند رب العالمين، وأن يصلح له قلبه، ويرشده في متاهات تلك الحياة؛ حيث تناوبته عواصفها الهوجاء، واشتدت به مفاتنها الغلواء، فقد صوبت إلى قلبه ريشها، فنشبت فيه، فأصابته في مقتل، وكادت أن تهلكه، ولذا يأتي مهرولا معلنا الانكسار أمام مولاه سائلا إياه – متوسلا بمحمد صلى الله عليه وسلم– نور هداية يستنير به في ظلمات الحياة؛ ليصل بر الأمان والرضا الإلهي؛ فقلبه معلق بمقامه الكريم، وإن تباعدت به المسافات، ونأت به البلاد.

(١) ديوان الصرصري – ٥٢، ٥٣.

الحنين لزيارته:

إذا كان جميع المسلمين فيما مشارق الأرض ومغاربها تنبض قلوبهم بحب البقاع المقدسة فيتشوقون إليها وتتوق نفوسهم إلى زيارة قبر النبي (ﷺ)، وأداء فريضة الحج، أو العمرة. أو هما معا، وعلى ذلك فإن الشعراء أصحاب القلوب الرقيقة، والمشاعر المرهفة، والحنين المتدفق إلى تلك البقاع يكونون أكثر تميزا، وأشد حرارة من أشواق الآخرين، وفي ذلك يقول شاعرنا جمال الدين الصرصري:[١] (الطويل)

ألا يا رسول الله يا خيْر مرسل تخيَّرك الرحمن للرسل خاتما
ويا من إذا المشتاق أبصر وجهه فإن له بشرى وإن كان نائما
تعطف على ضعفي برؤية وجهك الكريم فرؤياه تحطُّ المآثما
ولست بأهل لاجتلاء جماله ولكن فقير يسأل البر راحما

فشاعرنا يناجي رسول الله (ﷺ) مناجاة ضارع معظم لشأنه الكريم، ومعبِّر عن شوقه الشديد، وحنينه الجارف لزيارة مقامه الشريف؛ حيث إن رؤيته، والبقاء في كنفه يحط الذنوب، ويغفر الخطايا؛ مع أن الشاعر يرى أنه ليس أهلا ولا مستحقا ولا جديرا بهذا الشرف الرفيع إلا أنه أمل الفقراء الضعفاء الذين لا حيلة لهم إلا التضرع والابتهال؛ فإن من رأى رسول الله (ﷺ) في منامه فإن له بشرى السعادة في الدنيا والآخرة.

ويقول في موطن آخر: [٢](الطويل)

تذكرت العهد القديم على الحمى وعيشا لها بالمأزمين تصرَّما

(١) ديوان الصرصري – ٤٨٤.

(٢) ديوان الصرصري – ٤٨٤، ٤٨٥.

وأجــرى أحاديــث العقيــق حــداتها فـأجرت عقيقـا فـي الخـدود منظمًـا
وتاقــت إلــى تلــك الربــوع فأصــبحت وقـد صـبحت عزمـا إليهـا مصـمَّما
تولــت عــن الــزوراء تبغــي بقصــدها مــزار حمــى أضــحى لــزواره حمــى
طوت صرصرا والحضر مـع شط بابـل وبلت من المـاء الفرات جوى الظمـا
ووافــت إلــى بــرس فألفــت غــديرها يجعّــده مــتن النســيم مهينمــا

يبث الشاعر شكواه وأسفه على تلك الأيام الخوالي التي شعر فيها بالسعادة وطيب العيش أثناء إقامته بموضع يقع بين عرفة والمزدلفة يُسمَّى بالمأزمين، وكانت الحسرة والألم عندما تغنى الحداة بتلك الأحاديث؛ حيث يعيدون ذكريات ذاك الماضي، فاستجاب لها القلب، وأجهشت العيون بالبكاء، فجرى الدمع عقيقا، وارتعدت لذاك الفرائس، وتاقت لها الأفئدة، وحنّت القلوب، فعزم الشاعر على تجديدها ثانية، وصمَّم على تكرار الزيارة مرة أخرى ليقضي حاجة المتبتل، وها هو يصف بعد ذلك رحلة إلى بيت الله الحرام والبلاد التي مر بها، فقد انطلق الشاعر، وغادر الزوراء[١] متوليا عنها صوب مزار حمى تلك المدينة التي صارت حصنا لكل من لجأ إليه واحتمى بها، ثم غادرها الشاعر، وغادر نهر صرصر المتفرع من نهر الفرات ليصب في دجلة، ولكن قبل المغادرة روى ظماه من الفرات، ثم انطلق الموكب صوب برس تلك المدينة السومرية الواقعة جنوب بابل، فوجد الأفق طلق، وغديرها كما هو تهب عليه النسمة العليلة، والنفحة الشذية.

وها هو نراه يبث حنينه مرة أخرى في تلك الأبيات: [٢] (البسيط)

مـا لـي أراك إذا نفـحُ الصَّـبا عبثـا بالرنـد أطلقـت مـن جفنيـك مـا ارتبثـا.

(١) مدينة في بغداد.

(٢) ديوان الصرصري – ٧٧، ٨٧.

أهـزَّ عطفيـك منــه ســحرة طـرب أم فـي فـؤادك سـحار الأسـى نفثـا
أصباك نشر الصَّبا إذا مرَّ مختلسا أبقــى بقلبــك مــا أبقــى ومــا لبثــا
أئـن ذكـرت عهـودا بـالحمى قـدمت شـجاك مـن لاعـج الأشـواق مـا حـدثا
واهـا لظمـآن مـن ورد الحمـى سـغب لـو حـل بالشِّـعب لـم يظمـأ ولا غرثـا
آلـى بمـا عظّـم الأحبـاب مـن قسـم ألا يخــون لهــم عهــدا فمــا حنثــا
إذا تـــذكر أيـــام العقيـــق بكـــى فلـــو رآه عـــذول كاشـــح لرثـــا

هناك ما يثير وجدان الشاعر، ويهيج مشاعره، ويسيل الدمع من عينيه، وذلك عندما يمتزج بعناصر الطبيعة كلما هبت ريح الصبا بنبات الرند ذي الرائحة الطيبة، وهنا يتساءل متعجبا أهو الطرب والحنين إلى تلك البقاع المقدسة أم نفثة الحزن والحسرة والألم على فراقها؟ وأنه إذا تذكّر تلك العهود بموضع الحمى [١]عاودته الأشواق والأشجان، وها هو يعبر ظمئه لزيارة المحبوب، وشدة شوقه العارم لرؤيته، وهو بمجرد وصوله إلى الحمى لذهب عنه كل ما يعانيه شوق واشتياق وحنين، ثم يقدم الشاعر الدليل الجازم على صدق شعوره، وقوة عاطفته بهذا القسم الغليظ ألا يخون العهود، وألا يحنث فيها؛ فكلما تذكر أيام العقيق[٢]سال الدمعُ من عينيه رقراقا، وظهرت عليه علامات الضعف لما أصيب به من حالة نفسية صعبة؛ لو رآه على إثرها اللائمون الحاسدون الحاقدون لرقُّوا لحاله ورثوه، وأشفقوا عليه.

(١) موضع يقع بين مكة والطائف على طريق القوافل.

(٢) موضع يقع غرب المدينة المنورة.

الأنس بالقرب منه:

طبيعة الصالحين المحبين لرسول الله (ﷺ) العاشقين له أنهم يأنسون بالقرب منه؛ فالأنس حالة وجدانية تحمل على التنعم بالقرب من المحبوب، والشوق إلى لقائه، والعيش في كنفه، وما ذاق المحبون أطيب من القرب من رسول الله والتقيد بتطبيق سنته، والتنعم بملازمة قبره وحرمه؛ فالقرب يوجب الأنس، والهيبة، والمحبة، والشوق إلى اللقاء، وفي هذه المعاني يقول الصرصري: [1] (الكامل)

سقت العهاد بساحة البطحاء أكناف ذاك المعهد المتنائي
فبذلك الحرم الشريف المرتضى آنست رشدي واقتبست ضيائي
حرم تفرد بالعلا وتبوأت غرر المكارم منه خير فناء
جمع الجلالة والمهابة والسنا والحلم والتقوى وكل سناء
وبالفاتح الخير الأمين الخاتم الرسل المؤيد صفوة النبآء

يستهل الصرصري مدحه لرسول الله (ﷺ) بالدعاء بسقيا ساحة الحرم النبوي الشريف وجنباته؛ فهو مصدر النور والهداية والرشاد؛ فبكل ذلك تأنس الروح، ويطمئن القلب، ويستريح البدن، حيث إن هذا المكان ذو شرف رفيع، ومكانة عالية؛ فهو مجمع المكارم، وفِناء المحاسن؛ ففيه العظمة، والوقار، والنور، والحلم، والتقوى، وكل رفعة وسموّ؛ فهذه المآثر والمكارم كلها تجمعت في شخص رسول الله فقط لا غير؛ ذلك النبي (ﷺ) الخاتم الأمين صفوة خلق الله أجمعين، المؤيَّد من رب العالمين، سيد ولد آدم، ولم لا يأنس الإنسان بجوار رجل كهذا جُمع فيه الخير كله.

ويقول شاعرنا جمال الدين الصرصري في قصيدة أخرى معبِّرا عن أنسه

(١) ديوان الصرصري – ٢٤، ٢٥.

بجوار سيد الخلق محمد بن عبد الله:[١] (الطويل)

متى حل حادي العيس بالركب حاجرا ... كحلت بذيَّاك التراب المحاجرا

وإن هو أضحى ماء غمرة واردا ... جلى غمرة الصادي فأصبح صادرا

ويا نعمتها أن غيهب السَّفر انجلى ... بنعمان عن وجه البشارة سافرا

إذًا لاستقرت بعد ناءٍ قلوبنا ... وقرت عيون بتن منا سواهرا

وأقسم لو أمسيت في دارة الحمى ... لجيران سمراء الستور مسامرا

لقبّلت إجلالا بسمعي وناظري ... ثراها الذي بالنور أصبح ناظرا

مواقف عطف طاب بالوصل نشرها ... فأضحى لأموات الصبا به ناشرا

ظفرت بصفو العيش في عراصاتها ... ليالي أمسى بالصفا الحب زائرا

ليال بنور الحب أقمرن وانثنى ... بها نفس الأسحار للبِّ ساحرا

ليال جمعن الفوز بالقرب والرضا ... وشتتن شمل الهم فانقاد صاغرا

ولست بناس يوم أضحت ركابنا ... تخبُّ إلى وادي العقيق بواكرا

تقوِّي بمسراه قلوبا أسيفة ... وتنعش منا بالسرور السرائرا

فلما حللنا أرض طيبة معدن ... المكارم طبنا باطنا ثم ظاهرا

هنالك لا تثريب يوما على فتى ... إلى يثرب الفيحاء حثَّ العذافرا

يعبر الشاعر عن عميق سعادته وشعوره بالأنس عند نزول قافلة الحجيج بوادي حاجر فإنه يكحل عيونه بتراب ذلك المكان فرحا مستبشرا، وإن هو ورد ماء غمرة ظمآن صدر عنه، وقد ارتوى، وغدا ريان، وما أعظمها من نعمة، وما اسعدها من لحظة عندما تنجلي ظلمة السفر وعناء الطريق، ويظهر وادي

(١) ديوان الصرصري – ١٦٧.

نعمان[١]يستبشرون بقرب وصولهم لبيت الله الحرام؛ حيث هناك تطمئن القلوب، وتسعد الأفئدة، وتقر العيون، بعد أن كانت قلقة ساهرة، ثم هو ينكب على ترابها لاثما ومقبلا؛ لأنه نور ينشر الحياة لا ثرى؛ ثم هو يعبر عن شعوره الأنس؛ حيث قد فاز برغد العيش، وطيب الحياة، وتلاشى الهمّ والغمّ؛ فقد تبدلت حال القلوب من الحزن إلى السعادة، ومن الهم إلى الفرج، وانتعشت بقربها من مدينة رسول الله، وحلولها في رحابه وحضرته، وهكذا تظهر سعادة الشاعر، وفرحته بدنوه من مقام رسول الله، والعيش بجانبه. والاستمتاع بحضرته.

(١) وادي نعمان هو أحد أكبر أودية المملكة العربية السعودية، يقع في الجهة الشرقية لمكة المكرمة.

المطلب الثاني: الثناء على الرسول (ﷺ)، وصفاته الخُلقية والخِلقية، وتعداد معجزاته

١ – <u>الثناء عليه وتعظيمه:</u>

نظم شعراء المسلمين القصائد الطوال، والمقطوعات الفخام المليئة بالإطراء والثناء على النبي (ﷺ)، وذكر صفاته السامية، ومحاسنه القيمة؛ إعجابا بمكارم أخلاقه، والسير على هديه، واقتفاء أثره، يقول الصرصري:[١] (المنسرح)

أبلج سهل الأخلاق ممتنع ... يبرزه الدهر وهو محتجب
إذا تساقط به عزائمه ... فوق الثريا رسا به الأدب
بحر المعاني حدث ولا حرج ... فكل شيء من أمره عجب
يد بها يرفع البلاء عن الخلق ... وعين في الخلق ترتقب
قد قام من نظرة النعيم على ... صفحته للجمال محتسب
يجلوه معناه في تقلبه ... وهو بصون الأسرار منتقب
مشتهر خامل له نبأ ... مجاور للأنيس مغترب
تخفيه أحواله وتظهره ... فهو بعيد المرامي مقترب
يهز من نشوة شمائله ... حب المعالي للكاس والحبب
حُلّته الأنس والوقار ... القرب تاج لا الدرّ والذهب
وكنزه صحة اليقينِ وحسن ... الصبر درع للبيض واليَلَبِ
وفكره فخره ومنصبه ... تقواه والدين عنده الحسب
مفوض عارف أمام هدى ... من كل وصف سام له سبب
فاق رجال الزمان إذ هو من ... أمة خير الأنام منتخب
محمد خاتم الرسالة مفتاح ... الهدى بشرت به الكتب

(١) ديوان الصرصري – ٣٢.

كـل المـوالي مـن فضـل مـورده العـذب بكاسـات ورده شـربوا
بحسـن أخلاقـه اقتـدوا وإلـى طريقـه فـي سـلوكهم ذهبـوا
فـالفقر والصـبر منـه مقتـبس إذ لـم يكـن للكنـوز يجتـذب
جفـا نعـيم الـدنيا وأقنعـه عـن طيبهـا مطعـم لـه حسـب

فما أعظم هذه الشخصية التي اتصفت بكل هذه المعالي من حسن المعاملة، ولطف المعاشرة، وقوة العزيمة، لبق الحديث، يغيث الملهوف، ويرفع بلاء المنكوب، يؤنس من يعاشره، ويعزّ من يتودد إليه، يقينه عميق، وصبره عريض، يهدي من اقتدى به إلى الخير والفلاح، زاهد في متع الحياة، راغب عنها.

ومنه قول الشاعر كذلك: (المنسرح)[١]

محمـد أحمـد الـذي شـهدت بفضـله الأنبيـاء والأمـم
كمـا أقـرت لبيتـه العـرب والعربـاء بالمكرمـات والعجـم
هـو سـراج المنيـر فـاتح مـا أغلـق داعـي الضـلالة العـرم
نبـي تـوب نبـي مرحمـة وهـو المقفَّـى الضـحاك والقـثم [٢]
وشـاهد خـاتم الرسـالة مـاحي الكفـر بـالحق فهـو مصـطلم [٣]
وحاشـر عاقـب شـفاعته تنقـذ مـن فـي الجحـيم مقـتحم
قتـال بـاغٍ نبـي ملحمـة تحمده في الوغى الظبا والخذم [٤]
ونَبلـه والقنـا تحمـده فـي بذلـه للعـوارف السـلم

(١) ديوان الصرصري – ٤٨٠، ٤٨١.
(٢) القثم: من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى الكامل.
(٣) مصطلم: بائد مستأصل ممحوّ.
(٤) الخذم: الحُمُر الوحشية.

أكـــرم مـــن مـــد بالعطـــاء يـــدا إن هـــي ضـــنت بمائهـــا الـــديم [١]
وأفصـــح النـــاس منطقـــا جمعـــت لـــه اختصـــارا للحكمـــة الكلـــم
والحلـــم عمـــن أســـاء شـــيمته إن لـــم يكـــن للإلـــه ينـــتقم
مـــا قـــال يومـــا أفًّـــا لخادمـــه ولا اســـترابت بنهـــره[٢] الحشـــم

يكشف الصرصري عن مكانته (') العظمى بين أنبياء الله ورسله بل سائر الأمم، كما اعترف وأقرّ العرب والعجم على حد سواء بمكارم الأخلاق والأفعال؛ فهو القمر المنير الذي أضاء الدنيا بنور الهداية فمحا بذلك ظلام الضلال والكفر، كما أنه نبي الرحمة للمذنبين، والتوبة للعاصين بشوش الوجه وضاء الجبين وشفاعته تنقذ من حُكم عليه بالعذاب ودخول النار، وهو صاحب اليد الطولى عطاء، واللسان فصاحة، والحلم خلقا، فما نهر خادما، ولا عنف عبدا ولا أهلا.

٢- <u>صفاته الخُلقية:</u>

تحلّى رسول الله بكل ما هو جميل من الأخلاق، وخاصة أنه نشأ في بيئة كانت بعض مكارم الخلاق الشائعة بين العرب آنذاك مصدر فخار لهم؛ حيث كانوا يتباهون فيما بينهم بالتحلي بها، وجاء رسول الله ليتممها، وليعتلي قمتها، ويتربع على عرشها؛ حيث مدحه ربه بذلك في قرآنه حيث يقول: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة القلم:٤]، وهو القائل في حق نفسه: "إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ [٣]"، وقد ألح هذا الإعجاب بأخلاق رسول الله على شعراء الدنيا،

(١) الديم: المطر يطول زمانه في سكون.
(٢) نهره: زجره.
(٣) رواه أبو هريرة – سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م – رقم الحديث ٤٥ – ١ / ١١٢.

فأبدعوا في ذلك شعر لا حصر له، ومنهم شاعرنا الصرصري حيث يقول: [١] (الخفيف)

ولقد أحسن البلاغ وأبقى ... سنة لا تشوبها الآراء
من حذا حذوها فقد أمن ... السوء وتلك المحجة البيضاء
منصف عنده القوي إذا ما ... قام بالعدل والضعيف سواء
قابلوا عذر من أساء ولكن ... عن سقوط الحدود فيه إباء
وهو بالبشر والسماح مليّ ... ومن البخل والعيوب براء
لا تعض الضراء منه بحال ... ولا تستفزُّه السراء
وهو الفاتك الشجاع إذا ما ... شبت النار للورى الهجاء
فلمن أظهر العناد بوار ... ولمن أزعن الرضا والحباء
هاشمي له العفاف إزار ... وله الحسن والجمال رداء

٣- <u>صفاته الخَلقية:</u>

حاز النبي الكريم (ﷺ) كل صفات الجمال والكمال البشرية، ولا أجد أجمل وأوجز مما وصفته به أم معبد حين قالت : " رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة (ضخم البطن)، ولم تزر به صعلة (صغر الرأس)، وسيم، قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، أزج، أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربع، لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين عن قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة

(١) ديوان الصرصري: ٣.

منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند[١] "، وقد التقط الصرصري الخيط من وصفها قائلا:[٢] (الخفيف)

يخجل البدر ليلة التمام لما ضم عطفيه حُلة حمراء
ثم يزداد نوره إن تبدى وعليه العمامة السوداء
إن بدا صامتا علاه وقار أو سما ناطقا علاه البهاء
قده ما له على الأرض ظل حين تبدو الظلال والأفياء
ما لشمس الضحى عليه ظهور هو بالليل والنهار ضياء

يمتدح شاعرنا الصرصري رسول الله (ﷺ) بجمال وجهه، وإن المدح بالجمال يكون مع النساء إلا أن الممدوح رسول الله فهو أجمل من القمر ليلة التمام وذلك عند ارتدائه الحلة الحمراء؛ أما إن ارتدى العمامة السوداء ازداد بهاء وجمالا؛ يكسوه الجلال والوقار إن كان صامتا، ويعلوه بهاء الفصاحة والبيان إن كان ناطقا، ليس لرسول الله ظل على الأرض حتى لا تطأه الأقدام، لا يدانيه ضوء الشمس مع قوة توهجه نهارا؛ لأنه مشرق المحيا وضَّاء الجبين ليلا ونهارا.

٤ – <u>تعدد معجزاته:</u>

المعجزة هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي من أنبيائه (عليهم صلوات الله وسلامه) لتحدي قومه، ولتكون معجزة لهم، وبرهاناً على صدقه، وسبيلاً لإقامة الحجة على قومه، وكانت معجزة كل نبي من جنس ما برع فيه قومه الذين أُرسل إليهم، وهي بمثابة صدق النبي في كل ما أخبر به عن الله،

(١) البداية والنهاية – أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ – مكتبة المعارف – بيروت – لبنان – الطبعة سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م– ٣ / ١٩٢، ١٩٣.
(٢) ديوان الصرصري – ٣، ٤.

وسميت بذلك لعجز البشر عن الإتيان بمثلها؛ وما من نبي إلا وبعثه الله بمعجزات دالة على صدقه ونبوته، والعجيب أن كل معجزات الأنبياء كانت مادية مؤقته انتهت بمفارقتهم الحياة، وارتقائهم إلى الرفيق الأعلى إلا رسول الله (ﷺ) جمع بين المعجزات المادية المؤقتة التي رآها أعداؤه وشاهدوها؛ كانشقاق القمر، وخروج النبي سالما من بين أيديهم ليلة الهجرة، وقد تجمعوا حول بيته لقتله، وأخرى رآها أصحابه تارات كحنين الجذع، وانفجار الماء من بين أصابعه الشريفة، وتسبيح الحصى بيده، وغير ذلك الكثير؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هناك معجزة مادية معنوية خالدة باقية ببقاء الحياة؛ ألا وهي القرآن الكريم؛ فهو أعجوبة الأعاجيب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد رصد الصرصري الكثير من تلك المعجزات النبوية، ونظمها شعرا ذا نغم عذب في قصائد عديدة؛ منها قوله[1]: (البسيط)

هو السراج هو الهادي البشير شفى ... صدور أهل التقى إذ بلغ النبأ

لقد علا ليلة المعراج مرتبة ... سما بها كل عبد مرسل وشأى

طوى السماوات سبعا طيّ مقترب ... حتى دنا فتدلى واجتلى فرأى

والذئب كلَّمه والضَّبُّ والحجر ... الصلد الصموت وريم فارقت رشأ

ورد عين صحابي وقد فُقئت ... فلم يضره إذا كِيد الذي فقأ

فهاكم الصرصري يتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج التي أسرى فيها ربنا بنبيه محمد (ﷺ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم طويت له السموات السبع، فعُرج به إلى سدرة المنتهى، ثم إلى الحضرة الربانية؛ حيث رأى من آيات ربه الكبرى، وذاك الذئب الذي جاء رسول الله مستفرضا[2]، ثم الضبّ

(١) ديوان الصرصري – ١٣.

(٢) ينظر: مائة معجزة ومعجزة من معجزات الرسول – د/ مصطفى مراد – دار الفجر للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠ هـ / ١٩٩٩م – ٣٥.

الذي صاده الأعرابي، وأتى متجهما رافضا الإيمان برسول الله حتى يؤمن ذلك الضب، ودار بين ذلك الضب وبين رسول الله حوار أمام ملأ من أصحابه شهد فيه لله بالعبادة والوحدانية، وشهد لرسول الله بالنبوة والرسالة [١]، ومن دلائل نبوته (ﷺ) استقبال الحجر والشجر وهو بمكة يسلمان على رسول الله كلما مرّ[٢]، وقصة الظبية المقيدة التي تكلمت مع رسول الله، والتمست منه إطلاق سراحها، واستئذان رسول الله لمن صادها من الأعراب أن يطلق سراحها، فقبل الأعرابي شفاعة رسول الله، وأطلقها [٣]؛ وختم الصرصري تلك المعجزات في هذا المقطع الشعري بإعادة عين الصحابي قتادة بن النعمان التي فقئت في غزوة بدر، وسالت حدقته على وجنته[٤]، فغدت أصحّ عينيه وأحدَّهما، وبالتالي ذهب كيد أعدائه سدى ببركة رسول الله (ﷺ).

ونرى الصرصري في موطن آخر من ديوانه يتناول صورا أخرى من معجزاته المباركة (ﷺ) فيقول[٥]: (الخفيف)

---

(١) رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت سنة ٤٥٨هـ – ت: د/ عبد المعطي قلعجي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م – ٦ / ٣٦.

(٢) ينظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح) – أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٩٧ هـ – ت: إبراهيم عطوة عوض – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م – ٥ / ٥٩٣.

(٣) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي – ٦ / ٣٤.

(٤) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة – الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ – ت: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م – ٥ / ٣١٧، ٣١٨.

(٥) ديوان الصرصري – ٤.

وكـــلام الـــذراع والضـــبّ والـــذئب	وحيَّتـــــه ظبيَـــــة أدمـــــاء
وبِريـــق النبـــي أصـــبح مـــاء البيـــر	ســـحًّا وطـــاح عنهـــا الرشـــاء
وبـــه الملـــح صـــار عـــذبا فراتـــا	وهـــو للعـــين مـــن علـــيٍّ جـــلاء
ومـــن المعجـــز المبـــين حنـــين	الجـذع لمـا عـداه منـه الثنـاء
وســـجود البعيـــر يشـــكو إليـــه	وركـــوب البـــراق والإســـراء
ودرور الشـــاة التـــي لـــم يصـــبها	الفحل حتى استجاش منها الإناء
ويـــرى مـــن ورائـــه كأمـــامٍ	وســـواء ديجـــورهم والضـــحاء
وتنـــام العـــين الشـــريفة والقلـــب	علـــى يقظـــة بِهـــا يستضـــاء
إذا الـــوحي جـــاءه واليـــوم شـــات	ظـــل يكســـو جبينـــه الرحضـــاء
عرقـــا كالجمـــان والمســـك طيبـــا	عبقـــت مـــن أريجـــه الأرجـــاء
لـــه بالأبـــاطح القمـــر انشـــق	بنصـــفين لـــيس فيـــه خفـــاء
وبيمنـــاه تســـبِّح الحصـــيات الســـبع	حقـــا وســـحَّ منهـــا المـــاء
ثـم لمـا أومـى بهـا نكـس الأصـنام	لـــــلأرض ذلـــــك الإيمـــــاء

يشير الصرصري إلى نماذج أخرى من معجزاته (١) التي كانت وما زالت دليلا دامغا على صدقه ونبوته؛ ككلام ذراع الشاة المسمومة التي أعدتها المرأة اليهودية –لعنهم الله جميعا– للنبي لقتله، فنطقت الذراع، وأخبرت رسول الله أنها مسمومة[1]، وصار ماء بئر تُسمّى ببئر تفلة، وكانت مالحة صارت ببركة ريق رسول الله عذبا فراتا، ومنه حنين الجذع إلى رسول الله سماع الصحابة صوت

(١) ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق – الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م – رقم الحديث ٥٦٢٩ – ٢ / ٩٨٤، ينظر: مائة معجوة ومعجزة للنبي – د/ مصطفى مراد – ٥٢.

بكائه أنينا كبكاء الصبي[١]، والجمل الذي تمرد على أهله، وأبى الانقياد لهم، وعندما أتى رسول الله أقبل عليه الجمل، وانحنى أمامه [٢]طاعة وإكبارا، وتلك الشاة الصغيرة القرناء التي قدمت على رسول الله(ﷺ)، وأقامت بين يديه، فحلبها، وشرب، وسقى أصحابه – وكانوا قرابة أربعمائة رجل – حتى ارتووا جميعا ببركة رسول الله (ﷺ)[٣]، ومن معجزاته أنه يرى من ورائه كما يرى من أمامه، ومن معجزاته أنه كانت تنام عيناه ولا ينام قلبه؛ مصداقا لحديثه النبوي الشريف الذي يقول فيه: "تَنَامُ عَيْنَايَ وَلا يَنَامُ قَلْبِي" [٤]، وكان عرقه مسكا عبقا، ما سار في طريق إلا وعبقت فيه رائحته الزكية، وفاح عطره الشذي، وإن في قصة أم سليم التي وردت في صحيح مسلم لدليل على ذلك[٥]، وانشقاق القمر له بإذن الله تعالى كما ورد في سورة القمر؛ قال تعالى قوله تعالى: {ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢} [سورة القمر:١-٢]، وسبحت الحصيات بين يديه الشريفتين[٦]، وختمت الأبيات بمعجزة سقوط ثلاثمائة وستين صنما بإشارة رسول الله إليها بعصاه، فكان يسقط الصنم دون أن يمسه رسول الله (ﷺ)[٧].

(١) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي – ٦ / ٦٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه – ٦ / ٢٨.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه – ٦ / ١٣٧.

(٤) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني – رقم الحديث ٦٩٦ – ٢ / ٣١٠.

(٥) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب الفضائل – باب طيب عرقه (ﷺ) والتبرك به – الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠م – ١٥ / ٨٦، ٨٧.

(٦) ينظر: مائة معجزة ومعجزة – د/ مصطفى مراد – ٥٠.

(٧) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي – ٥ / ٧٢.

المطلب الثالث:

ذكر بعض الشعراء الذين غزر نتاجهم الشعري في مدحه (ﷺ)

عظمت شخصية رسول الله محمد خَلقا وخُلقا؛ فهو كما قال حسان بن ثابت الملقب بشاعر الرسول:[1] (الوافر)

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ

خلقتَ مبرأً منْ كلّ عيبٍ كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

وشخصية كاملة متكاملة كهذي حُقَّ لها أن تنال الحبَّ من الأصدقاء، أو الإعجاب من الأعداء، أو التعظيم والمدح والثناء من القاصي قبل الداني، ولذا هاجت الأحاسيس، وتاقت الأفئدة، فتحركت المشاعر، فلهجت ألسنة الشعراء مادحة ومُطرية، وتبارى الشعراء فيما بينهم مؤلفين ومبدعين قصائد ودواوين متناولين شخصيته العظيمة من كل جوانبها الروحية والمادية، ومن هؤلاء الشعراء العظماء الذين حازوا قصب السبق وامتلكوا ناصية الشرف والشهرة بمدحهم الرسول (ﷺ) على سبيل المثال لا الحصر من القديم إلى الحديث:

١- عبد الله بن رواحة. (ت ٨ هـ)

٢- كعب بن زهير. (ت ٢٤ أو ٢٦ هـ)

٣- حسان بن ثابت. (قيل: ت ٥٠ هـ)

٤- كعب بن مالك. (ت ٥٠ أو ٥١ هـ)

٥- الفرزدق. (ت ١١٠ هـ)

٦- أبو العتاهية. (ت ٢١١ أو ٢١٣ هـ)

٧- أبو تمام. (ت ٢٣١ هـ)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري – قدّم له: أ/ عبدا مهنا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م – ٢١.

٨- البحتري. (ت ٢٨٤ هـ)
٩- الشريف الرضي مهيار الديلمي. (ت ٤٢٨ هـ)
١٠- أبو عبد الله ابن ابي زكريا الشقراطيسي. (ت ٤٩٦ هـ)
١١- أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق الأبيوردي. (ت ٥٠٧ هـ)
١٢- أبو حفص عمر بن الحسن بن المظفر النيسابوري. (ت ٥٣٢ هـ)
١٣- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (ت ٥٣٨ هـ)
١٤- عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الأخوة البغدادي الشيباني. (ت ٥٤٨ هـ)
١٥- علي بن محمد بن علي العمراني. (ت ٥٦٠ هـ)
١٦- الشاعر العباسي الصوفي ابن الفارض. (ت ٦٣٢ هـ)
١٧- الإمام البوصيري. (ت ٦٩٦ هـ)
١٨- ابن نباتة المصري. (ت ٧٦٨ هـ)
١٩- لسان الدين بن الخطيب. (ت ٧٧٦ هـ)
٢٠- ابن جابر الأندلسي. (ت ٧٨٠ هـ)
٢١- محمود سامي البارودي. (ت ١٩٠٤م)
٢٢- حافظ إبراهيم. (ت ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢م)
٢٣- أحمد شوقي. (ت ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢م)
٢٤- أحمد رامي. (ت ١٩٨١م)
٢٥- محمد الحلوي. (ت ٢٠٠٤م)[١]

(١) من خلال الشبكة العنكبوتية بعنوان شعراء المدائح النبوية.

المَبْحَثُ الثَّانِي
الدِّرَاسَةُ الفَنِّيَّةُ

المطلب الأول:

المعجم الشعري

اتخذ شاعرنا جمال الدين الصرصري عدة ألفاظ تعبر عن ما يدور بخاطره، وهذه الألفاظ والعبارات تعد معجمه الخاص إذ يقصد بالمعجم الشعري تلك الألفاظ التي لها أهميتها البالغة في بناء القصيدة كوسيلة للشاعر ينقل تجربته إلى المتلقين(١)، وقد اشترط النقاد والأدباء للألفاظ الفصيحة من الشروط ما يحافظ على سلامتها بالبعد عن التعقيد والغرابة، وخلوها من السوقي والعامي؛ كما ينبغي ألا يكون وحشيا إلا أن يكون المتكلم أعرابيا فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي(٢)؛ كما ينبغي أن نعي جيدا أن فصاحة اللفظة لا تظهر إلا مع جارتها، ولا تنسجم إلا مع أختها، وبذلك تظهر جودتها وحلاوتها يقول ابن الأثير: "اعلم أن العرب كما كانت تعتني بالألفاظ، فتصلحها، وتهذبها؛ فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأشرف قدرا في نفوسها؛ فأول ذلك عنايتها بألفاظها؛ لأنها لما كانت عنوان معانيها، وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها، وزينوها، وبالغوا في تحسينها؛ ليكون ذلك أوقع لها في النفس، وأذهب بها في الدلالة على القصد؛ ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعا لذّ لسامعه فحفظه، وإذا لم يكن مسجوعا لم يأنس به أنسه به في حال السجع ؟ فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم، وحسنوها، ورققوا حواشيها، وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ فقط؛ بل هي خدمة

---

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث – د/ محمد زكي عشماوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية – الطبعة سنة ١٩٧٥م – ٢٤١.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة – ت: د/ عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة السابعة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م– ١ / ١٤٤.

منهم للمعاني، ونظير ذلك إبراز صورة الحسناء في الحلل الموشية، والأثواب المحبرة؛ فإن قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه من حسنه بذاذة لفظه وسوء العبارة عنه"[١]؛ فهل كان للصرصري أسلوب خاص لإبداع عاطفته؟ وما التعابير التي استخدمها في مدحه (ﷺ)؟ وهل كانت ألفاظه وحشية؟ وهل استقاها من بيئته، أو من الموروث القديم، أو من القرآن والسنة؟

والحق أن الصرصري قد تخير الألفاظ المناسبة لمقام النبي (ﷺ)، فاختار لغة واضحة سهلة تلامس حيواته اليومية، وتلامس حياة أكبر عدد من المتلقين – اللهم إلا بعض تلك الألفاظ المتناثرة في قصائده التي تأثر عند اختيارها ببيئته بالإضافة إلى تلك الألفاظ الدالة على الأمكنة التي تصادفه في طريق الحج، والتي تحتاج معاجم البلدان أو العودة إلى الشبكة العنكبوتية – فأسلوب المديح ينبغي أن يكون واضحا بعيدا عن الغرابة والوحشية لا سيما مديح النبي (ﷺ)، ونقف على ذلك في قوله:[٢] (الطويل)

رأيت رسول الله أنصح مرشدٍ ... وأنجح ذي جاه كريم يشفع
فقبلت فاه العذب تقبيل شيق ... وما كنت في تقبيل ممشاه أطمع
وقلت له هذا الفم الصادق الذي ... بوحي إله العرش كان يمتّع
فبشرني خير الأنام بميتتي ... على سنة بيضاء بالحق تُشرع
فها أنا تصديقا لبشراه ثابت ... عليها بحمد الله لا أتتعتع

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بضياء الدين المتوفى سنة ٦٣٧ هـ – ت: د / أحمد الحوفي، د / بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطباعة – القاهرة – الطبعة الثانية – ٢ / ٦٥، ٦٦.

(٢) ديوان الصرصري – ٢٨٠.

وكذلك أسلوب الدعاء يحتاج للسهولة والوضوح، والبعد عن التعقيد؛ فالوضوح شرط أساسي للكلام البالغ المؤثر؛ لأنه بوضوحه يستطيع أن يصل إلى القلب في سرعة وسهولة؛ ومن نماذج الصرصري المتسمة بالسهولة قوله:[١] (الطويل)

فسل ربك الرحمن ألا يزلّنا عن السنة المثلى فأنت مشفع

عليك سلام الله ما عاقب الدجى صباح وما لاحت بوارق تلمع

وبذلك بدت ألفاظه متسمة بالسهولة والوضوح، والبعد عن الغريب، والحوشي من الكلام؛ فمقام المدح يقتضي ذلك، ولا سيما المدائح النبوية التي تبدو فيها عاطفة الحب والإعجاب بالنبي (ﷺ) جلية؛ لذلك امتازت ألفاظه بالسهولة واليسر، ووضوح دلالتها على المعنى المراد؛ كما اتسمت ألفاظه في بعض قصائده بالجزالة والدقة؛ كما في قوله:[٢] (الطويل)

إليك رسول الله عندي نوازع من الشوق لكن دون قصدي موانع

تحنُّ إليك الروح حنَّة فاقد عدته عن الأحباب بيد شواسع

أما آن بعد الخمس ورد لحائم بعينيه شِرب سائغ الماء ناقع

وإني لظمآن الحشا مخلص إلى مشارع تحميها الرماح الشوارع

لقد أخلق الدهر المبرِّح جِدتي وما أُخلقت مني إليك المطامع

فالقصيدة هي فن استعمال الألفاظ التي تخلق بنية حية، وانسجاما فريدا من نوعه يحقق الاستجابة عند متلقيه من خلال تلك الألفاظ أو اللغة الشعرية التي تعكس شخصية الشاعر الثقافية بكل ما تحمله من وعي وإدراك وإحساس بثقافة عصره وبيئته، وتتكرر الألفاظ المتسمة بالجزالة والرصانة مع سهولتها

(١) ديوان الصرصري – ٢٩١.

(٢) ديوان الصرصري – ٢٩١.

ووضوحها.

أما الأساليب فقد نوّع الشاعر بين الخبر والإنشاء، وقد لعبت الأساليب **الإنشائية الطلبية** بكل أنواعها دورا في إثارة ذهن المتلقي، ولفت انتباهه ليشارك الشاعر أفكاره، ومشاعره، وأحاسيسه، وقد ورد الأمر، والاستفهام، والنداء، والدعاء عند الصرصري، كما في قوله:[١] (البسيط)

يا مَن له الفضلُ مَحضًا في بَرِيَّتِه وهو المؤمَّلُ في البأساءِ والباسِ
عَوّدْتَني عادةً أنت الكفيلُ بها فلا تكِلْني إلى خلقٍ مِن الناسِ
ولا تُذِلَّ لهم مِن بعد عزّتِه وجهي المَصونَ ولا تخفِضْ لهم راسي
وابعثْ على يدِ مَن ترضاه مِن بشرٍ رزقي وصُنّي عمّن قلبُه قاسي

في هذه الأبيات نجد حضورا للأمر في البيت الأخير، ونهي في البيتين الثاني والثالث، ونداء في الأول، وكل الإنشاء هنا غرضه الدعاء؛ سواء له.

والملاحظ في ديوانه أن الدعاء بأسلوب الأمر بالصلاة والسلام على نبينا(ﷺ) أسلوب لا حصر له في أشعاره؛ فهو الأسلوب الغالب على قصائده الدينية، وخاصة في ختام القصائد، ومن الأمر المؤول بالدعاء قوله:[٢] (الطويل)

وكن لي مجيرا في خطوب لذي الحجا الـ كريم إلى الغمر اللئيم تؤوض

ويقول أيضا:[٣] (الكامل)

فاحلل عقود الدمع في دار الهوى فلها البكاء عليك حقًّا يشرط

(١) ديوان الصرصري – ٢٤٢.
(٢) ديوان الصرصري – ٢٥٥.
(٣) ديوان الصرصري – ٢٦٦.

ويطالعنا النداء الذي يكمن فيه التعظيم؛ كما في قوله:[١] (الكامل)

يـا مـن علـت قـدم السـباق بـه فلـم يدركـه مـن أهـل المراتـب أخمـص

يـا مـن إذا مـا حـل خطـب بـالورى فبجاهـــه مـــن كيـــده تـــتخلص

ويلعب الاستفهام دورا كبيرا في مدائح الشاعر، وتتنوع أدواته؛ حيث جاء بـ: بـالهمزة، وهل، وكيـف، ومـن هـذا القبيـل هـذا الاسـتفهام ذي النكهـة الحزينـة المؤسفة في قوله:[٢] (الطويل)

أشـاقك مـن وادي العقيـق ومـيض فجفنـك بالـدمع الغزيـر يفـيض

ويقول مستفهما متمنّيا:[٣] (البسيط)

هـل عائـد لـي والآمـال مطمعـة عـيش تصـرّم فـي أكنـافكم ومضـى

فهـــل لـــي إلـــى ربعـــه عـــودة أجـــوب الفـــلا أجرعـــا أجرعـــا[٤]

ويقول أيضا مستفهما متغزلا:[٥] (الكامل)

كيف التسلي عن هوى قمر لـه فـي القلـب منـي منـزل متوسـط

كل هذه الأدوات الاستفهامية أحدثت نوعا من المرونة والحيوية، ولفت انتباه المتلقي بهذا الأسلوب؛ كما نلمح في مدائحه خاصية اتسم بها معجمه، وهي تكرار بعض الألفاظ، والعبارات [٦]لإحداث تأثير في نفس وعقل ووجدان المتلقي صانعا نغمة موسيقية قوية، وإيقاعا عذبا داخليا يعمل على إظهار قيمه

(١) ديوان الصرصري – ٢٥٥.

(٢) ديوان الصرصري – ٢٦٢.

(٣) ديوان الصرصري – ٢٦٣.

(٤) ديوان الصرصري – ٢٦٦.

(٥) ديوان الصرصري – ٢٩٢.

(٦) خاصة العبارات الدالة على الشفاعة وعلو مقامه عند رب العالمين.

الفكرية والنفسية على حد سواء، وسوف يتضح ذلك بجلاء عند تناولنا للموسيقى الداخلية إن شاء الله تعالى.

وأختم الأغراض الطلبية بالتمني مظهرا شاعرنا الأسى والحزن حيث يقول:[١] (الطويل)

فليت المطايا كن يممن أرضهم ولو بسطت دون الفلاة أروض

أما الأساليب الإنشائية غير الطلبية فكان لها نصيب أيضا في شعر الصرصري، وشملت:

١- القسم كما في قوله:[٢] (الخفيف)

لعمري سيخرجون من النيـ ران من ساهمٍ ومن ممحوش

٢- كم الخبرية: كما في قوله:[٣] (البسيط)

كم رماني عن قوس الملام فتى فما أصابت سهام العذل لي غرضا

٣- المدح أو الذم: كما في قوله : [٤] (الكامل في البيتين)

ولبئس ما ادّخر الفتى لمعاده غُشّ بباطنه وقول أملغ

فلنعم تلك مناهلا نطوي بها وعر الفلا ومفاوز الأحقاف [٥]

٤- الترجي: كما في قوله: [٦] (الكامل)

فعسى تنوب على البعاد تحية عن واصل بالودّ ليس بخاف

---

(١) ديوان الصرصري – ٢٦٢.

(٢) ديوان الصرصري – ٢٥٢.

(٣) ديوان الصرصري – ٢٦٤.

(٤) ديوان الصرصري – ٢٩٩.

(٥) ديوان الصرصري – ٣٢٣.

(٦) ديوان الصرصري – ٣١٥.

٥- التعجب: كما في قوله : [١] (البسيط)

ما كان أسرع ما تولّى بفرقتكم كأنه حلم أو بارق ومضا

ومن الأساليب الخبرية لفظا الإنشائية معنى وهي غالبا للدعاء قوله:[٢] (الخفيف)

فعليه من المهيمن أزكي صلوات برمسه خير رمس

وقوله أيضا: [٣](المتقارب)

فلا زال عندك نور الرضا مقيما برمسك خير الرموس

ومن الأساليب الخبرية قوله:[٤] (الكامل)

أنت الغني عن المدائح بالذي في الفتح والأحزاب والأعراف

لكنني أثني عليك بمدحة تُجلى أعاريض بها وقواف

علما بأن نظام مدحك قربة أرجو بها أمنا ليوم مخافي

ولأنت عند الله خير عباده وأعز صفوته بغير خلاف

تنويه:

ولكن مع الطابع العام للديوان السهولة، ويسر الألفاظ، واتسامها بالوضوح إلا أن ثمة صعوبة نجدها في بعض المفردات في عدد محدود من القصائد؛ ولعل مصدر هذه الصعوبة التأثر بالبيئة التي عاشها الصرصري، وطبيعة عصر المنشأ كقوله: [٥] (الوافر)

(١) ديوان الصرصري – ٢٦٤.

(٢) ديوان الصرصري – ٢٤٥.

(٣) ديوان الصرصري – ٢٤٧.

(٤) ديوان الصرصري – ٣٢٥.

(٥) ديوان الصرصري – ٢٧٤.

وأنقــع للصــدى حوضــا إذا مــا حــرور الموقــف المشــتد كظَّــا

وكــان إذا اصــاب النــاس قحــط تصــدّى للــدعاء لهــم ملظَّــا

ولــو أمســت مطايــاه حنايــا وأصــبح فــي الفــلاة يقتــات مظَّــا

ســقى ربعــا يحــلّ بــه غمــام ملــثٌّ يــدأظ الغــدران دأظــا

فكل ما فوق الخط من ألفاظ في حاجة إلى بعض المعاجم اللغوية لاستكشاف معناه، ولكن هذه السمة ليست عامة، وإنما في القليل من شعره.

المطلب الثاني

العاطفة

العاطفة هي الحالة الوجدانية أو النفسية التي تسيطر على الأديب إزاء موضوع، أو فكرة، أو مشاهدة، وتؤثر فيه تأثيرا قويا يدفعه إلى التعبير عن مشاعره، والإعراب عما يجول بخاطره(١)، أو هي تلك القوة التي يثيرها الأديب فينا نحن القراء، وهي بعيدة عن العواطف الشخصية، وهي العواطف التي تحملنا على الذهاب وراء صالحنا الخاص كالجشع، أو الفرار من الميدان، أو الانتقام، أو المدح رجاء النوال؛ فهذه ليست من الانفعالات الأدبية السامية التي يحرص عليها النقد؛ لأنها تحيا في دائرة ضيقة.....(٢)، وقد تواضع النقاد على عدة مقاييس تقاس بها جودة العاطفة وحيويتها، وهذه المقاييس ليست فقط من حيث الصدق والكذب، بل تكلموا أيضا عن قوة العاطفة وعمقها، وعن تنوع العواطف لدى بعض الشعراء دون بعض؛ كما يبدو أنهم لاحظوا استمرار العاطفة على قوتها في القصيدة كلها أحيانا، وفتورها في بعض أجزائها أحيانا، وما قد يؤدي إليه ذلك من اختلاف نسيج القصيدة قوة وضعفا، وأسرا وتهافتا باختلاف حال العاطفة.(٣)

كان الحب والإعجاب في الأغلب الأعم هو ما اتسمت به عاطفة الصرصري، ومن أصدق العواطف، وأرقها، وأعظمها استثارة للمشاعر والأحاسيس عاطفة حب رسول الله (ﷺ)، ويتجلى نجاح العاطفة عند أي شاعر بِعدَّة معايير أو مقاييس يقاس بها.

---

(١) في النقد الأدبي الحديث – د/ طه أبو كريشة – طبعة الجريسي سنة ١٩٩٠م – ١٧٠.

(٢) أصول النقد الأدبي – أ/ أحمد الشايب – مطبعة الاعتماد – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦م – ١٨١.

(٣) في النقد الأدبي – د/ محمد طاهر درويش – طبعة دار المعارف – ٢٢١.

وقد اتسمت عاطفة الصرصري بعدة سمات:

١ – القوة والحيوية:

وتتجلى قوتها بأن تحرك الأحاسيس، وتحيي الشعور، وتغذي النفس، وتوحي بالمطلوب، ولا يراد بقوة العاطفة الثورة الجامحة، بل يراد بها القوة مع ضبط النفس(١)، فهي قوة صادرة عن قلب مرهف محب للنبي، ومن خلال هذا التعريف نلحظ قوتها عند الصرصري في قوله:(٢) (الكامل)

حي المنازل بالمحل الأشرف ... محمية بمهنَّد ومثقَّفِ
عني تحية حافظ لعهودها ... إن أسعفت بالقرب أو لم تسعفِ
مزجت محبة أهلها بحشاشتي ... كمزاج صفو الماء صفو القرقفِ
فأنا المقيم لها بأسباب الهوى ... صدفتني الأيام أو لم تصدفِ
قصرت ليالي وصلها وتصرّمت ... وثوى بها وجدي وطال تأسفي

وهنا تبدو عاطفة الحب والحنين والاشتياق واضحة جلية؛ فالشاعر ولع بمحبة آل البيت حيث امتزج حبهم بكيانه، وسرى في وجدانه؛ فلا سبيل للفصل بينهما، وقد طغى حبه لهم حتى عمّ الأمكنة التي يسكنونها؛ فروحه عندهم، وبدنه في بلدته.

ونراه في مقام آخر يرجو الله تعالى أن ينال الشفاعة يوم الحساب؛ فما لنا وسيلة للنجاة سوى حبه (ﷺ)، وبذلك حظي شعر المديح النبوي عند الصرصري بعاطفة قوية توسل من خلالها بالرسول الكريم، وطلب شفاعته، ومن قوة العاطفة وحيويتها ما نلحظها عندما يلحّ الشاعر ببيان رفعة مقام النبي يوم القيامة، ودوره

(١) النقد الأدبي عند العرب (أصوله قضاياه تاريخه) –د/ حنفي محمد شرف – مطبعة الرسالة – الطبعة سنة ١٩٧٠م – ٥٤.

(٢) ديوان الصرصري – ٣٣١.

في تفريج كربات يوم القيامة حين يقول:[١] (البسيط)

وفي الميعاد لواء الحمد في يده يضم من ظله الأشراف أذيالا
يجيز أمته فوق الصراط إذا ما المجرمون غدا على متنه زالوا
وفي غد حوضه يروي العطاش إذا غال الحشا من صدا الميقات بلبال
وهو المفرج كرب الناس كلهم إن هم إليه غدا في حشرهم آلوا
وهو الشفيع إذا حلّ العصاة لظى إذ ليس ينفع لا أهل ولا مال

ونراه ينهي معظم قصائده بالصلاة على النبي (ﷺ)، دائما وأبدا حيث يقول:[٢] (البسيط)

صلَّى الإله عليه كلما نظمت مدائح فيه في أبياتها طولُ
وكلما عارضت أبيات مدحته بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ
ما زاده مدح مثلي في جلالته إلا كما زاد ضوءَ الشمس قنديلُ
قصّرت فيه ومن لي أن أطوِّله لكن عذري بوصف العجز مقبولُ

وبعد هذا العرض السريع لنماذج من شعر الصرصري إذا ما نظرنا إلى عاطفته لوجدناها قد تحققت بهذا المفهوم، وذلك لأنها جاءت نابعة من أعماق الشاعر، مبثوثة من وجدانه، محركة لأحاسيسه، معبرة عن مشاعر فياضة، وانفعالات صادقة؛ بدليل تماهيه في حب رسول الله(ﷺ)، وتوسله وتضرعه للرسول بأن يشفع له يوم القيامة.

٢- صدق العاطفة:

يقصد بصدق العاطفة أي: أن تنبعث عن سبب صحيح غير زائف،

(١) ديوان الصرصري – ٣٦٩.
(٢) ديوان الصرصري – ٣٩٦.

ولا مصطنع؛ حتى تكون عميقة تهب الأدب قيمة خالدة[١]، ونستطيع أن ندرك صدق العاطفة مما نلحظه في إخلاص الشاعر وحبه للرسول (ﷺ)؛ عندما يعدد صفاته الحسنة وأفعاله الكريمة حين يقول:[٢] (الطويل)

محمد المختار أفصح مبلغ ... وأبلغ عبدٍ جاء بالحق مرسلا
هو الخاتم المبعوث بالحق آخرا ... وإن كان في التفضيل والخلق أولا
وفي الجنة الفيحاء تحت قبابها ... وفوق نحور العين يشرق في الطلا
بنى مجده الرحمن إذ كتب اسمه ... على عرشه سطرا من النور مجتلى
فعظم هذا عند آدم جاهه ... فحين جنى أضحا به متوسلا
من الفضة البيضاء طينته التي ... زكت وحماها الله من غِيَر البلا
لقد أخرجت من قطرة العطر الثري ... لتعجن بالتسنيم عجنا وتجبلا
وتغمس غمسا كي تزيد طهارة ... بأنهار جنات النعيم لتكملا

والحق أن النزعة الدينية المسيطرة على مدائح الصرصري جعلت من شعره نموذجا للصدق الفني والواقعي على حد سواء؛ فضلا عن قوتها، وتدفقها طوال قصائده مما جعلها أدعى للقبول.

٣- ثبات العاطفة:

ثبات العاطفة هو "بقاء العاطفة في نفس القارئ زمنا، فلا تزول منها سريعا، بل تظل عالقة بها مدة طويلة "[٣]، وأمدا بعيدا؛ بحيث يبقى أثرها في النفس، وذلك دليل على تعايش الشاعر واندماجه معها؛ فالقارئ لشعر

(١) أصول النقد الأدبي – د/ أحمد الشايب – الطبعة العاشرة سنة ١٩٩٤م – طبعة جديدة منقحة – ١٩٠.

(٢) ديوان الصرصري – ٤٠٤، ٤٠٥.

(٣) في النقد الأدبي الحديث – د/ طه أبو كريشة – ١٧١.

الصرصري يظل متفاعلا معه متأثرا به طوال القصيدة – إن لم أقل طوال الديوان – لا يزول سريعا بل يبقى أثره في نفس القارئ فترة ليست بالقليلة؛ لما فيه من عاطفة دينية وروح إسلامية محبة للرسول الكريم (ﷺ)، ومن ذلك ما نلحظه في قوله: [١] (الطويل)

هـــــواك دواء لا أراه مصـــــارما وصـــــحة عهـــد للـــــوداد دوام
وودك ود ســـــــالم لا أَمَلُّـــــــه ولـــو مـــرّ عـــام لا أراك وعـــام
حِمـــاك لعمـــر الله ســـامٍ ممهـــد دواء لـــــداء مهلـــك وســـــلام
ورســـمك حـــلاه الرســـول محمـــد هـــو الرحمـــة المهـــداة وهـــو إمـــام
هـــو الحـــاكم العـــدل المســـدد حكمـــه هـــو الحلـــو وردا مـــا عـــداه أوام
هـــو الســـمح ممـــدود العطـــاء لآمـــل ومـــا صـــده عمـــا أراد حطـــام
هـــو الكاســـر الأعـــداء كســـر محطـــم مِكـــرٌّ مـــروّ للرمـــاح همـــام
لـــه الحكـــم محمـــود ومـــا ســـلّ صـــارما لمصـــــلحة إلا وطُـــوِّح هـــام
ومـــا أمّـــه المـــرء المـــروع مهـــدَّدا إلا حمـــــاه صـــــعدة وحســـــام
مرســـله المحمـــود وهـــو محمـــد هـــو اســـم ســـما لمّـــا حـــواه إمـــام

ومن ثبات العاطفة ما نلاحظه في هائيته التي تبدو فيها عاطفته الدينية المشبعة بالإيمان والحب لسيد الأنام (ﷺ) حيث يقول في مطلعها:[٢] (الطويل)

لمـــن دمـــن بـــالرقمتين أراهـــا محـــا رســـمها طـــول الـــبلا فعفاهـــا
تحمـــل عنهـــا كـــل أغيـــد مـــائس ولـــم يبقـــى إلا عفرهـــا وعفاهـــا
فأضـــحت قـــواء بعـــد طـــول غنائهـــا يـــبغم فيهـــا ريمهـــا وظلاهـــا

(١) ديوان الصرصري – ٤٦٧، ٤٦٨.
(٢) ديوان الصرصري – ٦١٧.

علـى أن فيهـا نفحـة مـن أريجهـم كـان نباتـا بـالعبير طلاهـا

خليلـي إمّـا ارتبتمـا فـي صـبابتي بهـا فقـف فـي ربعهـا فسـلاها

فعاطفة الشاعر قوية من بداية القصيدة وحتى نهايتها لا يشربها ضعف، أو قصور، أو فتور؛ وعلى كلٍّ فالمتأمل في مديح الشاعر يجده مشحونا مليئا بالعواطف الدينية والأحاسيس الداخلية التي تنم عن إخلاص الشاعر لممدوحه، وامتزاجه بوجدانه، وانشغاله به دائما وأبدا في الحل والترحال، المكره والمنشط، وبذلك فقد منح شعره الدوام والخلود.

المطلب الثالث

الصورة الفنية

يعد مصطلح الصورة الفنية من الركائز الأساس من بين المصطلحات التي تبنى عليها دراسة النص الشعري، وتعد الوسيلة المثلى التي تقودنا إلى استكشاف تجربة الشعر، وإدراك أبعادها، وذلك عن طريق السمو باللغة، وحشد طاقات الكلمات الموحية(١)؛ وهكذا تظل الصورة الفنية هي عنصر العناصر في الشعر، والمحك الأول الذى تعرف به جودة الشاعر وأصالته، فالصورة أداة الشاعر، ووسيلته التي يجسد من خلالها ما يختلج بداخله من مشاعر وانفعالات، وقد ارتبطت الصورة بالشعر ارتباطا وثيقا، فهي قوام الشعر الذى لا غنى عنها، وجوهر من جواهره الأساسية.

وقد عرفها الدكتور" عبد القادر القط "، فقال: "هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما مكاناتها في الدلالة، والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والتضاد، والمقابلة، والجناس، وغيرها من طاقات اللغة أو وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية"(٢).

والشاعر الصادق هو الذي يمتاز عن غيره بترابط صوره، فيجعل المتلقي متمثلا ومتصورا لما يريد نقله من مشاعر وأحاسيس، فقد "كانت الصورة في

---

(١) المديح النبوي في شعر ابن جنان الأندلسي المتوفى نحو سنة ٦٥٠ هـ – د/ عبد العظيم عبد الرؤوف أبو علي – مجلة اللغة العربية بالمنوفية – العدد ٣٥ – إصدار ديسمبر ٢٠٢٠م – ٣٢٢٣.

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – د/ عبد القادر القط – مكتبة الشباب – القاهرة – سنة ١٩٧٨م – ٤٣٨.

الشعر تعنى اختيار مجموعة من الألفاظ تؤدى فيما بينها إلى نقل الصفات من الواقع الخارجي، التي تماثل إحدى اللحظات الشعورية في نفس الفنان. تطورت الصورة الشعرية وأضحت تجسيدا لرؤية الفنان الشاملة للعلاقة بينه وبين العالم من خلال جزئيات صغيرة ممتلئة بالفكر والحياة معا"(١).

ومن خلال الصورة الشعرية تتضح موهبة الشاعر في إظهار الانفعالات والمشاعر الوجدانية في شكل جميل يستوعبها العقل، وتتقبلها النفس، ويمرح بها الخيال، فالصورة تؤلف من الخيال، وتكمن في نفس الشاعر حتى تخرج، " فالخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم، وتظل كامنة في مخيلتهم حين يحين الوقت، فيؤلفون منها الصورة التي يريدونها، صورة تصبح لهم؛ لأنها من عملهم".(٢)

ويرى دكتور غنيم هلال أن التصوير قد ينتج من تراكيب حقيقية وعبارات وصفية مجردة، "فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير دالة على خيال خصب "(٣)، وعليه فإن جمالية الشعر، وقوة دلالته تتمثل في إيحاءاته اللفظية المتعددة.

وبالنظر في التصوير الفني في مديح النبي (ʿ)، عند الصرصري نجد كثرة الصور الحقيقية أمام الصور المعتمدة على وسائل البيان المختلفة؛ فيما يسمى

(١) شعرنا الحديث إلى أين؟ – د/ غالى شكري – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١م – ١٢٤.

(٢) في النقد الأدبي – شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م – ١٦٧.

(٣) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال – دار نهضة مصر – القاهرة – الطبعة سنة ١٩٩٧م – ٤٣٢.

عند البلاغيين المعاصرين الصور الجزئية من: تشبيه، واستعارة، وكناية؛ فالشاعر بصدد سرد حقائق، ومواقف، وذكر معجزات بعيدا عن الحاجة إلى التخيُّل؛ فمن الصور الفنية التي يهيمن عليها التعبير الحقيقي، ويقل فيها التصوير المجازي ما نطالعه في قوله:[١] (الطويل)

وفي الزبر الأولى تبين فضله ... لكل عليم بالدلائل بائث
له خمدت نيران فارس بعدما ... غدت حقبا محشوشة للأخاوث
وإيوان كسرى انشقّ عند ولادة ... فأصبح ذا هم من الرعب كارث
وأرسل ذو العرش الرجوم لبعثه ... على كل شيطان عن الحق رابث
وما زال محفوظا رضيعا وناشئا ... إلى أن وقاه الله كيد النوافث
وقيل وقاه الله في أرض مكة ... أذى كل حلاف من القوم حانث
إلى أن رماهم يوم بدر أذلة ... بقعر قليب للأساود مائث

الصرصري يعرض أحداثا تتناول جانبا من المعجزات التي وقعت إثر مولده (ﷺ)، من خمود نار الفرس، وسقوط إيوان كسرى، وإرسال الشهب الثواقب على الشياطين المسترقين السمع من السماء، وحفظ الله له على الدوام حتى جاء يوم بدر، وكان القليب قبرا لأعدائه من قريش، وكان سبعين قتيلا؛ فالشاعر هنا بصدد سرد للحقائق والمواقف التي حدثت بالفعل، ولذا نأى بها عن الخيال.

ومن الصور الفنية البيانية ما نجدها في تصويره لمعجزات النبي (ﷺ)، في قوله:[٢] (الخفيف)

مالنا مرتجى سوى وعد مولى ... ماجد لا يخيب فيه الرجاء

(١) ديوان الصرصري – ٨٣، ٨٤.
(٢) ديوان الصرصري – ٢.

مــن إذا قــال أو تكفّــل فالصــدق قــــرين لوعـــــده والوفـــــاء
مصـــطفى الله ذي الجـــلال مـــن الخلــق نبــي لــه علينــا الــولاء
شـــهدت بالرســـالة الصـــحف الأو لـــى لـــه والنعـــوت والأســـماء
ورأى فضـــــله بحيـــــرا عيانـــــا وبـــــه قبـــل بشّـــر الأنبيـــاء
خـــاتم الأنبيـــاء فـــاتح بـــاب الـــر شـــد والنـــاس ضُـــلَّل ســـفهاء
صـد كـلا مـنهم عـن الخطـة المثـ لـــى فـــؤاد مـــن الصـــواب هـــواء
فأتـــــاهم مـــــن ربهـــــم بكتـــــاب هـــو للنـــاس رحمـــة وشـــفاء

فالأبيات تمجيد وتعظيم لرسول الله (ﷺ)، وما خلا بيت منها – باستثناء البيت الثالث – من الخيال الجزئي، وهو الاستعارة المسيطرة على الأبيات؛ فالرجاء فيه لا يخيب أبدا، والصدق والوفاء قرينان له، وفضله رآه بحيرا الراهب، وقد فُتح باب الرشاد على يديه، وقد خلت أفئدة أهل مكة من الصواب، وكتاب ربه شفاء ورحمة للمؤمنين.

وهاكم نموذج آخر قد شحن فيه الخيال شحنا؛ يقول الصرصري:[1] (الخفيف)

ارحمـوا مـن تـرون فـي النـاس صـبا وعليـــه الغـــرام قـــد صُـــبَّ صـــبا
ارحمـــوا تُرحمـــوا فرحمـــة ربـــي للـــذي فـــي الأنـــام قـــد رق قلبـــا
عجبـــا مـــنكمُ تريـــدون بعـــدا عـن محـب يريـد فـي الحـب قربـا
وإذا ذاق فـــي هـــواكم عـــذابا كـل وقـت يـراه فـي الـذوق عـذبا
فـي هـواكم بـذرت فـي الحـب حبـا فاسـتوى زرع ذلـك الحـب حبـا
وبقلبـــي أزوركـــم كـــل وقـــت وأراكـــم لـــي لا تـــزورون غبًّـــا
خفِّفـــوا عنـــي الثقيـــل حامـــل مـــا تعـــده فـــإني النـــاس صـــعبا

(١) ديوان الصرصري – ٣٨.

ولا عمـــري حملـــت وجـــدا وفكـــرا وســـقاما قـــد ركبنـــي وكربـــا

ويلحظ الباحث أن الصورة هي التي تؤسس الدهشة والمفاجأة والحلم داخل العمل الشعري، فيتم توحيد جزئيات الصور المتعددة في لوحةٍ شاملة تشكل حيزاً أساسياً في بنية القصيدة، ومثل تلك النماذج كثيرة في شعر الصرصري.

المطلب الرابع

الموسيقا الشعرية

أولا: الموسيقا الداخلية:

تتسع الموسيقا الداخلية لتشمل اختيار الشاعر لحروفه، وألفاظه، وإبداع صوره وأخيلته لإيجاد التناغم بين أجزاء الجملة الشعرية، وتحقيق الثراء الموسيقي، وتكمن فيما يلي: التكرار، والجناس، وحسن التقسيم، والتصريع.

يستخدم التكرار لخدمة المعنى وتقويته؛ " فالتكرار لم يكن صنعة يتقصدها الشاعر، وإنما كان ضربا من دروب النغم يترنم به ليقوي جرس الألفاظ وأثرها "[(١)]؛ ليس هذا فحسب، وإنما يعمل على توكيد المعاني؛ فكانت " العرب إذا أرادت المعنى مكنته، واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين: أحدهما: تكرير الأول بلفظه، والآخر: تكرير الأول بمعناه.[(٢)]

أولا: التكرار:

ورد التكرار بأنواعه الثلاث في ديوان الصرصري مؤديا وظيفة لغوية دلالية عظيمة، وفيما يأتي أنواعه ودلالة كل منها مع مثال:

١- تكرار صوتي:

وهو يقتضي تكرار حروف بعينها في الكلام مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعادا تكشف عن حالة الشاعر النفسية؛ فهذا النوع من التكرار لا يقتصر دوره على مجرد تحسين الكلام، بل يمكن أن يكون من الوسائل المهمة التي تترك أثرا في أداء المضمون، ومن أمثله هذا النوع عند الصرصري قوله:

---

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب – د/ ماهر مهدي هلال – دار الحرية – بغداد – الطبعة سنة ١٩٨٠م – ٢٥١.

(٢) الخصائص لابن جني – ٣ / ١٠١.

(الطويل)

هـو الماجـد الجبـار جـامع خلقـه جليـل مجيـد واحـد لـيس يقتـر

تكرر صوت الجيم خمس مرات في بيت واحد، ومن خصائص هذا الصوت أنه يوحي بالشدة، والقوة، والمتانة، والدفء كأحاسيس لمسية؛ وأما إيحاءاتها البصرية فهو تتردد بين الفخامة، والعظم، والامتلاء[١]، وتلكم المعاني واضحة في الألفاظ الخمس فالماجد، والمجيد، والجليل من العظمة والهيبة؛ وأما الجامع، والجبار فمن الغلبة، والقهر، والسيطرة، وكلها أمارات قوة وصلابة.

وفي قوله أيضا:

هـو الحكـم الحـق الحلـيم حسـيبنا حميـد حكـيم حكمـه لا يُغيّـر

فقد تكرر صوت الحاء سبع مرات، وصوت الحاء صوت نلفظه اليوم بحناجر حضارية رخوة مرققا مرخما، أوحى لنا بملمس حريري ناعم دافئ وبطعم بين الحلاوة والحموضة، وبرائحة ذكية ناعمة، يطوف السمع فيه على مثال ما يطوف النظر في سفح معشب خضر تتلاعب بأزاهيره نسيمات الربيع، وهو بحفيف النفس أثناء خروج صوته من أعماق الحلق يرفد اللسان العربي بأعذب أصوات الدنيا قاطبة، وأوحاها بمشاعر الحب والحنين، وصوت الخاء هو أغنى الأصوات عاطفة وحرارة، وأقدرها على التعبير عن خلاجات القلب ورعاشاته؛ ليتحول مثل هذا الصوت مع الباحة الحائية في طبقاته العليا إلى ذوب من الأحاسيس وعصارة من عواطف الحب، والحنين، والأشواق[٢]، وألفاظ الصرصري في البيت التي ورد فيها صوت الحاء توحي بكل تلك المعاني؛ فالحكم الحق

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها – حسن عباس – منشورات اتحاد الكتاب العرب – الطبعة سنة ١٩٩٨م – ١٠٥.

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها لحسن عباس – ١٨٢.

الذي يأخذ بيد الضعيف، وينصف المظلوم، ويجبر مهيض الجناح لينصره ويؤيده، حليم مع عباده يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، حكيم في قضائه وقدره لما فيه مصلحة عباده.

٢- تكرار لفظي:

ويكون هذا تكرار ناتجا عن أهمية هذه المفردة وأثرها في إيصال المعنى؛ حيث تأتي مرة للتأكيد، أو لكشف اللبس، أو لأهمية المقرر فضلا عن ما تقوم به من إيقاع صوتي داخل النص الشعري، ويتضح ذلك في قوله:[1] (الطويل)

أغثنا أغثنا مسنا الضر مسنا فأنت لنا غوث على نازل الكرب

وبتكرار الفعل (أغثنا) فقد شاركنا الشاعر الإلحاح واللهفة لتحقيق الغوث، وإظهار صرورة قبول الدعاء لتتحقق النجاة والفرج القريب، وكذلك تكرار اللفظ (أمسنا) ففيها تأكيد على نزول الكرب بالأمة، وشدة الحاجة لكشفه.

٣- تكرار أسلوبي:

وهو تكرار يظهر الأهمية التي يوليها الشاعر لمضمون تلك الجمل المكررة بوصفها مفتاحا لفهم المضمون العام الذي يريده الشاعر؛ فضلا عما تحققه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام، وهذا من قبيل ما نلحظه في تكرار الجملة الفعلية؛ كما في قوله: [الطويل]

وعلمتني القرآن فضلا ونعمة فها أنا في آياته متمهِّر

وعلمتني ما أهتدي بضيائه من السنن اللاتي بها يتنوَّر

فتكرار الشاعر لجملة (وعلمتني) فيها إيحاء باعترافه الكامل بفضل الله عليه، وإقراره التام بعظم نعمته عليه؛ فلولا الله ما كان الشاعر هاديا مهديا، ولولا الله ما علا شأن الشاعر، وارتفع مقامه، ولما تفنن في فهم معاني القرآن الكريم

(١) ديوان الصرصري – ٥٧.

حتى سمت منزلته، وعلت مكانته حتى صار من ذوي الألقاب الكثيرة كما رأينا في ترجمته.

ومن التكرار على مستوى القصائد معظمها ما نجده في دعائه وتضرعه إلى الله تعالى متوسلا بنبيه الكريم (ﷺ)، حيث يقول:[١] (الكامل)

إنـــي إلـــى رب العـــلا متوجـــه بـــك عنـــد كـــل ملمـــة تـــتمغَّط
بـك أسـتجير ومـن يلـوذ مـن الـورى بعظـيم جاهـك قـدره لا يُغمـط
فاســأل لأمتــك الضــعيفة نصــرة ورخــاء عــيش ثــم أمنــا يبســط

وبذلك كان للتكرار بأنواعه الثلاث عند الشاعر أثر بالغ الأهمية من الناحية المعنوية والموسيقية في مدائح الصرصري، وقد تفنن في استخدام التكرار في تجربته الشعرية هذه ليؤكد على أهمية الصلاة على النبي (ﷺ)، ولذا اتخذ التكرار وسيلة لتحقيق التناغم الداخلي للموسيقى الداخلية التي هي بلا شك أقوى وسائل الإيحاء.

ثانيا: الجناس:

وهو تشابه اللفظين في الشكل واختلافهما في المعنى، ويعد من أبرز الوسائل اللغوية لتكثيف النغم الداخلي، وإحداث نغمات موسيقية متصاعدة، وينقسم إلى:

١- **الجناس التام:** وهو اتفاق اللفظين في الحروف، وعددها، ووزنها كقول الشاعر:[٢] (البسيط)

بالله جودوا على قلب بكم دنف إن أبطأ الوصل عنه ساعة درجا
فكم محب لكم أحياه عطفكم ولطفكم فعلا في قربكم درجا

(١) ديوان الصرصري – ٢٦٩.

(٢) ديوان الصرصري – ١٠٢.

تشابه اللفظ (درجا) في البيت الأول وهو فعل بمعنى (سعى)، واللفظ (درجا) في الثاني وهو اسم بمعنى (المرتبة والمنزلة).

ومنه قوله أيضا:[١] (البسيط)

بادر مبادرة الشهم الشجاع إلى مناهج الحق إن الحق قد وضحا

تشابه اللفظ (الحقّ) الأول، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، واللفظ (الحقّ) الثاني وهو بمعنى الحقيقة الثابتة، وهذا مما يعطي التعبير رونقا، ويدعو القارئ إلى التأمل والانتباه ليفرق بين معاني الألفاظ المتشابهة.

٢- **الجناس الناقص:** وهو ما اختلف اللفظان في الحروف، أو عددها، ومن ذلك قوله:[٢] (البسيط)

أوجهك أم ضوء الصباح تبلّجا أم البدر في برج الجمال جلى الدجي

وقوله أيضا:[٣] (الطويل)

وإن صلي النار العصاة غدًا غدا لأمته من هوة النار مخرجا

وهكذا نستشعر التأثير الجميل الذي يعطيه الجناس للكلمات والعبارات في الجمل، ويظهر هذا التأثير في النعومة والنغومة والحلاوة التي تميز الجملة التي تحتوي على الجناس من أي نوع، وهكذا يكون الجناس قد ثرّى الموسيقا الداخلية، ونحَّى عنها رتابة الوزن ونمطيته الثابتة؛ فضلا عن تحقيق قيمة جمالية صوتية وشكلية في آن واحد.

(١) ديوان الصرصري – ٨٦.

(٢) ديوان الصرصري – ٧٣.

(٣) ديوان الصرصري – ٨٠.

ثالثا: التصريع:

اعتمد الصرصري على التصريع في افتتاح قصائده معظمها، وهذا دليل على تمكنه واقتداره؛ فسبب التصريع مبادرة القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام الموزون غير منثور، ولذلك فهو يقع في أول الشعر؛ ليس هذا فحسب، وإنما لإطراب السامعين، وتشنيف آذانهم، وإمتاعهم، ومن التصريع قوله:[١] (الكامل)

ما بال أنفاس النسيم إذا سرت سحرا على ميت الصبابة أنشرت

ومنه أيضا قوله:[٢] (الطويل)

لمن طل دون الربا فالنبائث تعفّى بأيدي العاصفات العوابث

وبذلك نجد أن التصريع عند الصرصري بمنزلة السجع من الكلام المنثور، وفائدته هنا أنه قبل أن يكمل القارئ أو السامع البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها؛ فضلا عن دلالته على سعة قدرته في أفانين الكلام.

ثانيا/ الموسيقا الخارجية:

الشعر ما هو إلا كلام تنفعل لموسيقاه النفوس، وتتأثر به القلوب؛ فالموسيقا سحر سمعي يحدث أثرا في الوجدان، وتتمثل موسيقاه الخارجية في الوزن والقافية، والوزن أعظم أركان حدّ الشعر، وأولاها به خصوصية، أو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة [٣]

(١) ديوان الصرصري – ٨٥.

(٢) ديوان الصرصري – ٨٠.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ – ت : أ / محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م – ١ / ١٣٤.

١- الوزن:

نالت الموسيقا الخارجية اهتماما كبيرا من الإمام الصرصري من حيث اختيار الأوزان التي تناسبه، والأشكال التي تتناسب مع غرض المديح، وقد نظم على عدد من البحور الشعرية؛ كالطويل، والكامل، والبسيط، والخفيف، والوافر، والمنسرح، والمتقارب، والرمل، وقد غلب على الصرصري استخدامه للأوزان التامة ذات المقاطع الطويلة في مدائحه، وقد نال بحر الطويل نصيب الأسد؛ فهو من البحور التي أكثر النظم عليها في مدائحه النبوية، ولا سيما لاميته التي تقع في (٥٥٧) بيتا والتي يقول في مطلعها:[١] (الطويل)

ألذ وأحلى من شمول وشمأل وأليق من ذكرى حبيب ومنزل

ثم احتل البحر البسيط المرتبة الثانية بعد الطويل، وكانت أطول قصائده على هذا البحر إذ بلغت (١٤٥) بيتا، وهي من خماسيته، وهي من القصائد المعجمية التي جاءت على حروف المعجم؛ يقول الشاعر في مطلعها:[٢] (البسيط)

الحمد لله أزكى كل مبتدأ إليه في نائبات الدهر ملتجأي

٢- القافية:

تعد القافية الجزء المكمل لإيقاع البيت الشعري، وهي الدفقة الموسيقية التي تمنحه وظيفة جمالية، وبتكرارها في آخر الأبيات إذ هي آخر مظهر من مظاهر الإيقاع في البيت الشعري؛ إذ يصل الإيقاع إلى مداه فيها بما توفره من انسجام صوتي بين حروفها التي يشكل الروي، والردف، والتأسيس أبرز مظاهره، فتشترك مع إيقاع البيت، وتتجاوب معه في النسق العام.

(١) ديوان الصرصري – ٤٣٠.

(٢) ديوان الصرصري – ٦٥٧.

وقد نظم الصرصري قصائد على كل حروف المعجم؛ حيث لم يدع صوتا لغويا إلا ونسج عليه قصائد عديدة، وقد تنافست قافية الميم واللام والراء، فجاءت متقاربة في عدد القصائد.

أنواع القافية:

أولا: المطلقة:

التي يستمر معها الإيقاع الصوتي لفترة زمنية معينة، والتي يمكن أن نطلق عليها متحركة الرويّ، وهي الغالبة عند شاعرنا، ومن ذلك قوله:[١] (البسيط)

إفراط لومك في البلوى هو الداء فاكفف ملامك عني فهو إغراءُ

وقوله:[٢] (البسيط)

يا سائق الركب لا تعجل فلي أرب فوق الرواحل حالت دونه الحجبُ

ثانيا: المقيدة:

التي تتوقف عندها حركة الإيقاع، وتنقطع تماما، والتي يمكن أن نطلق عليها ساكنة الرويّ؛ مثل قوله:[٣] (الكامل)

ما بال أنفاس النسيم إذا سرتْ سحرا على ميت الصبابة أنشرتْ

وقوله:[٤] (المتقارب)

ألا يا رسول الله المليك الذي هدانا به الله من كل تيهْ

(١) ديوان الصرصري – ١.

(٢) ديوان الصرصري – ٣٠.

(٣) ديوان الصرصري – ٧٣.

(٤) ديوان الصرصري – ٦٢٨.

وقوله: [١] (الطويل)

قليل لمدح المصطفى الخطُّ بالذهبْ على فضة من خط أحسن من كتبْ

وبالنظر في مدائح شاعرنا جمال الدين الصرصري نجد أن القافية المطلقة فاقت المقيدة من حيث الكم والكيف؛ لإخراج ما بداخل الشاعر من حب وإعجاب تجاه رسول الله(ﷺ)، ومن أبرز مظاهر القافية وأوضحها حرف الروي، وهو الحرف التي ينتهي به البيت، ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيد جميعها؛ هذا من جانب، ومن جانب آخر بالنظر في مدائحه نجده أنه صاغ قصائد عديدة على كل أصوات العربية كما أوضحنا من قبل، ويتبين لنا أيضا أن الشاعر قد اهتم بالموسيقا الخارجية اهتماما بالغا من خلال اختيار الأوزان المناسبة، والأشكال التي تتناسب والمديح، وقد وفق في ذلك إلى مدى بعيد.

(١) ديوان الصرصري – ٥٣.

الخـاتمـة

الحمد لله الذي أتم عليَّ نعمه، ووالى عليَّ مننه، وأعانني فأكملت هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه، وأن يكون البحث نافعاً محققاً للغرض منه، وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج من أهمها:

١- أن شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم محط أنظار الشعراء حيث هو النعمة المسداة، والقدوة الحسنة، والسراج المنير، والنموذج الأمثل، والنبي الخاتم.

٢- تميز الصرصري عن غيره من الشعراء – ولا أبالغ إن قلت في معظم العصور – في براعته حيث صاغ شعرا غزيرا على أصوات العربية؛ ما ترك صوتا إلا ونسج عليه قصائد عديدة، مما يدل على تفوقه وبراعته الشاعرية.

٣- استوعبت قصائد الصرصري أو كادت كل مظاهر التكريم والتفخيم لرسول الله (ﷺ)، والحديث عن غزواته، ومعجزاته الواقعة في زمنه، والتي أنبأ عنها بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى، وقد أبدع في ذلك.

٤- امتدّت مدائحه لعدد كبير من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة (رضي الله عنهم جميعا).

٥- كشفت مدائحه عن جوانب العظمة في شخص رسول الله وسيرته العطرة المطهرة.

٦- كشفت مدائحه عن سعة اطلاعه على السيرة النبوية، ومعرفته لتفاصيلها، واحتوائه لها في أشعاره؛ مما دلّ على ثقافته الدينية الواسعة، وخبرته الفنية في توظيفها في شعره.

٧- لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد المديح من التوسل برسول الله (ﷺ)، وطلب شفاعته، ولذا امتدّ واتسع هذا الغرض في شعره.

٨- أبدع الصرصري في عرض صفات النبي الخَلقية والخُلقية في أسلوب فني بعيد عن التقريرية المباشرة.

٩- تبدو ظاهرة التكرار (تكرار سرد المعجزات والأحداث) واضحة جلية في كثير من قصائده المدحية.

١٠-تبدو ظاهرة تكرار بعض الألفاظ والتعبيرات واضحة أيضا في شعر الصرصري مما يؤثر في نفس ووجدان المتلقي، ويحدث نغما موسيقيا، وإيقاعا عذبا داخليا، وإظهارا لقيَمه النفسية والفكرية كلتيهما.

<u>وأخيرا أوصي</u>: بإتاحة مثل هذه الدراسات لطلابنا الجامعيين خاصة لتكون نبراسا لهم، وللاستفادة من أخلاق رسول الله (ﷺ)، وسيرته العطرة ليتمثلوها في حياتهم.

□

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا:

ديوان الإمام الصرصري، شعر الإمام يحيى بن يوسف الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦ هـ، تحقيق وشرح: أ.د/ مصطفى مصطفى عطا، دار الكلمة للنشر، الطبعة الثانية، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م.

ديوان الشاعر – ديوان الصرصري – أبو زكريا جمال الدين يحيى بن يوسف البغدادي الحنبلي المتوفى سنة٦٥٦ هـ – ت: د/ مخيمر صالح – منشورات جامعة اليرموك – عمادة البحث العلمي والدراسات العليا.

ثالثا: الكتب

١) أروع ما قيل في المديح – إميل ناصيف – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

٢) الإصابة في تمييز الصحابة – الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ – ت: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.

٣) أصول النقد الأدبي – أ/ أحمد الشايب – مطبعة الاعتماد – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦م.

٤) أصول النقد الأدبي – د/ أحمد الشايب – الطبعة العاشرة سنة ١٩٩٤م – طبعة جديدة منقحة.

٥) الأعلام – خير الدين الزركلي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٩٦ هـ – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة عشرة سنة ٢٠٠٢م.

٦) الأنساب – الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ – ت: محمد عوامة – مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

٧) البداية والنهاية – الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ – مكتبة المعارف – بيروت – الطبعة السادسة سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م.
٨) البداية والنهاية – أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ – مكتبة المعارف – بيروت – لبنان – الطبعة سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م.
٩) البيان والتبيين للجاحظ – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة – ت: د/ عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي.
١٠) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – د/ عبد القادر القط – مكتبة الشباب – القاهرة – الطبعة سنة ١٩٧٨م.
١١) اجتماع الجيوش الإسلامية في الرد على المعطلة والجهمية – الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية – ت: زائد بن أحمد النشيري – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – الطبعة الأولى سنة ١٤٣١ هـ.
١٢) تحقيق النصوص ونشرها – عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة السابعة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.
١٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المعروف بحبر الأمة وترجمان القرآن المتوفى سنة ٦٨ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.
١٤) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب – د/ ماهر مهدي هلال – دار الحرية – بغداد – الطبعة سنة ١٩٨٠م.
١٥) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – المرحوم السيد أحمد الهاشمي المتوفى سنة ١٩٤٣م – مؤسسة المعارف – بيروت – لبنان.
١٦) خصائص الحروف العربية ومعانيها – حسن عباس – منشورات اتحاد الكتاب العرب – الطبعة سنة ١٩٩٨م.

١٧) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ – ت: د/ عبد المعطي قلعجي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م.

١٨) دور الصرصري " ت ٦٥٦ هـ" بين الإنجازات الفكرية والتحديات المغولية – أ.م.د/ هناء كاظم خليفة – الجامعة المستنصرية – كلية الآداب.

١٩) ديوان حسان بن ثابت النصارى – قدّم له: أ/ عبدا مهنا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

٢٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

٢١) سنن أبي داود – ت: محمد عبد العزيز الخالدي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٢٢) سنن الترمذي (الجامع الصحيح) – أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٩٧ هـ – ت: إبراهيم عطوة عوض – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م.

٢٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب – ابن العماد الإمام شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ – ت: محمود الأرناؤوط – دار ابن كثير – دمشق/بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م.

٢٤) شعر المديح النبوي في الأدب العربي – جميل حمداوي – منشورات المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧م.

٢٥) شعرنا الحديث إلى أين؟ – د/ غالى شكري – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

٢٦) الشفا بتعريف أحوال المصطفى – العلامة القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي – ت: عبده علي كوشك – وحدة البحوث والدراسات – دبي – الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣م.
٢٧) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق – الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.
٢٨) صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب الفضائل – باب طيب عرقه (ﷺ) والتبرك به – الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠م.
٢٩) صحيح مسلم المسمى المختصر الصحيح من السنن – الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ – تشرف بخدمتها / أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي – دار طيبة – الرياض – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.
٣٠) عصر الدول والإمارات الأندلس – شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة سنة ٢٠٠٥م.
٣١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ – ت : أ / محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة سنة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.
٣٢) فوات الوفيات والذيل عليها – محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ – ت: د/ إحسان عباس – دار صادر – بيروت.
٣٣) فى النقد الأدبى – د/ شوقى ضيف – دار المعارف – مصر – الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م.
٣٤) في النقد الأدبي – د/ محمد طاهر درويش – طبعة دار المعارف.
٣٥) في النقد الأدبي الحديث – د/ طه أبو كريشة – طبعة الجريسي سنة ١٩٩٠م.

٣٧) القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ – ت / مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثامنة سنة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.
٣٨) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث – د/ محمد زكي عشماوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية – الطبعة سنة ١٩٧٥م.
٣٩) لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم بن علي بن منظور المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٣٠٠ هـ.
٤٠) مائة معجزة ومعجزة من معجزات الرسول – د/ مصطفى مراد – دار الفجر للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠ هـ / ١٩٩٩م.
٤١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بضياء الدين المتوفى سنة ٦٣٧ هـ – ت : د / أحمد الحوفي، د / بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطباعة – القاهرة – الطبعة الثانية.
٤٢) مختصر صحيح البخاري – المحدث محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م.
٤٣) مختصر طبقات الحنابلة – العلامة الشيخ محمد جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن شطي – ت: فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.
٤٤) المديح النبوي في شعر ابن جنان الأندلسي المتوفى نحو سنة ٦٥٠ هـ – د/ عبد العظيم عبد الرءوف أبو علي – مجلة اللغة العربية بالمنوفية – العدد ٣٥ – إصدار ديسمبر ٢٠٢٠م.
٤٥) المستطرف في كل فن مستظرف – شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المتوفى سنة ٨٥٠ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م.

٤٦) معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية – عمر رضا كحالة – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

٤٧) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد – الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح المتوفى سنة ٨٨٤ هـ – ت: د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.

٤٨) الموسوعة الحرة ويكيبيديا – جمال الدين الصرصري – رابطه مختصر طبقات الحنابلة – العلامة الشيخ محمد جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن شطي – فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

٤٩) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال – دار نهضة مصر – القاهرة – الطبعة سنة ١٩٩٧م.

٥٠) النقد الأدبي عند العرب (أصوله قضاياه تاريخه) –د/ حنفي محمد شرف – مطبعة الرسالة – الطبعة سنة ١٩٧٠م.

الفِهرِسُ العَامُ

الموضـــــــــوع	الصفحـة
ملخص البحث باللغة العربية	٤٥٧
الملخص باللغة الإنجليزية	٤٥٨
المقدمة	٤٥٩
الدراسات السابقة	٤٦٠
منهج البحث	٤٦١
الخطة العامة	٤٦١
تمهيد	٤٦٣
اسمه	٤٦٣
مولده ونشأته	٤٦٣
ثقافته	٤٦٤
ألقابه	٤٦٤
علمه	٤٦٥
شيوخه	٤٦٥
مذهبه	٤٦٦
شعره	٤٦٦
أقوال العلماء فيه	٤٦٧
مؤلفاته	٤٦٨
وفاته	٤٦٨
مفهوم المديح لغة واصطلاحا	٤٧٠
المبحث الأول: الموضوعات المدحية للنبي محمد	٤٧٤

المطلب الأول:	٤٧٥
طلب الشفاعة	٤٧٥
الحنين لزيارته	٤٧٨
الأنس بالقرب منه	٤٨١
المطلب الثاني:	٤٨٤
الثناء عليه وتعظيمه	٤٨٤
صفاته الخُلقية	٤٨٦
صفاته الخَلقية	٤٨٧
تعدد معجزاته	٤٨٨
المطلب الثالث:	٤٩٣
ذكر بعض لشعراء الذين غزر نتاجهم الشعري في مدحه	٤٩٣
المبحث الثاني: الدراسة الفنية	٤٩٥
المطلب الأول: المعجم الشعري	٤٩٦
المطلب الثاني: العاطفة	٥٠٤
القوة والحيوية	٥٠٥
صدق العاطفة	٥٠٦
ثبات العاطفة	٥٠٧
المطلب الثالث: الصورة الفنية	٥١٠
المطلب الرابع: الموسيقا الشعرية	٥١٥
أولا: الموسيقا الداخلية	٥١٥
التكرار	٥١٥
الجناس	٥١٨

التصريع	٥٢٠
ثانيا: الموسيقا الخارجية	٥٢٠
الوزن	٥٢١
القافية	٥٢١
أنواع القافية	٥٢٢
الخاتمة	٥٢٤
المصادر والمراجع	٥٢٦
الفهرس العام	٥٣٢